المواجهة

وقفة صريحة مع الحركة الإسلامية



حامد سليمان



حامد سليمان

وقفة صريحة مع الحركة الإسلامية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

الفصـــل الأول

الدولة والحركة الاسلامية

خطاب الرئيس ‥ والمنادون بعزل الاسلام

خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك بالأزهر – فى يوم الدعاة ‥ يعتبر من أخطر الخطب التى وجهت الى العالم الاسلامى‥ حيث تم فيه الربط ‥ ربما لأول مرة فى تاريخنا المعاصر بين الدين والدولة ‥ وأوضح فيه الرئيس دور الاسلام فى المجتمع ‥ من خلال رؤية مستنيرة ‥

وأكد فيه على : ضرورة ارساء مبادىء الاسلام كواجب سياسى، وتشريعى ، وتنفيذى ، وذكر فيه : بأن أحداث التاريخ تثبت ان نهوض الأمة الاسلامية كان مرتبطا اقترابها وابتعادها عن مبادىء الاسلام ‥ وأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب : أن تكون قدوة لكل مسئول فى مجال عمله ‥ وأنه لا مجال للصحوة من كبوتنا الا بالاستعانة بهذه المبادىء ‥ حتى تتحقق النهضة التى نبتغيها ‥

ولأن هذا الكلام قد جاء على لسان رئيس أكبر دولة اسلامية فهو يعتبر اسهاما له ثقله السياسى والاسلامى ‥ فى الحوار الدائر منذ بداية هذا القرن ‥ بين الذين ينادون بعزل الدين عن المجتمع، والسياسة ، والحكم ‥ وقصر مفهوم التدين على العبادات ، وحصار النشاط الاسلامى فى المساجد ، والزوايا ، والتكايا ‥ من خلال مفهوم غربى علمانى نتج عن تجربة مأساوية أوربية لا علاقة لمبادىء اسلامنا بها ‥ وبين هؤلاء الذين يعارضون عزل الاسلام عن الدولة ، والسياسة ‥ على أساس أن الاسلام – كآخر رسالات السماء الى البشر – جاء بنظرية تنظيم شئون حياتهم السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ‥ خاصة وأن هذه النظرية ‥ لا تعطى حقوقا مقدسة لرجال الدين ‥ ولا تؤمن

بالحكومة الدينية ·· ولكنها تؤمن بحكومة مدنية منتخبة ·· من الأمة (تحكم بالاسلام) من خلال حكم متفق عليه من جمعية تأسيسية ·· ومن خلال عقد امامة ·· يضع بنودا حاسمة لانتخاب الحاكم ، وطاعة المحكومين ·· ويرى هؤلاء : أن مخاوف ، وأوهام الزاعقين بضرورة فصل الدين عن الدولة ·· هى مخاوف مؤقتة ·· وأنهم سوف يكتشفون ـ مع الوقت ـ أنهم كانوا اما :

ضحايا الخلط بين أخطاء التجربة الكنسية الأوربية ·· وتسلطها على الحكم من خلال ما سمى بالحق الالهى المقدس ·· وبين المبادىء النظرية الاسلامية فى الحكم التى تميز ما هو دينى ومقدس، وثابت فى شئون العبادات ، وبين ما هو دنيوى،ومتغير وقابل للنقاش ··شئون السياسة والحكم والاقتصاد من خلال القاعدة التى أرساها الحديث الشريف ··

« أنتم أدرى بشئون دنياكم »

فالاسلام هو دين العقل ·· والانفتاح على كل تجارب الدنيا ·· ويسمح بالأخذ منها ·· فى كل المجالات السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ·· شرط أن يكون الانفتاح تحت مظلة القيم الاسلامية ، وغير متناقض مع مبادئها العليا ·· حفاظا على الجذور ، والشخصية الحضارية ·· وعدم النوبان فى أتون الحضارات الأخرى ·· من خلال : جهل الذات ، أو انبهار بذوات الآخرين ··

أو قد يكونون ضحايا الخلط فى التاريخ الاسلامى ·· بين تجارب اقتربت من مبادىء الاسلام ، فحققت نهضة الأمة ـ كما ذكر الرئيس فى خطابه ـ مثل تجربة خلافة أبى بكر ، وعمر بن عبد العزيز ، وبين تجارب ابتعدت عن مبادىء الاسلام · مثل تجربة بعض خلفاء بنى أمية وبنى العباس وغيرهما من التجارب للفاطميين والأيوبيين والمماليك ، والعثمانيين ··

وهى تجارب أدانها التاريخ والفقه ، والفكر الاسلامى

المستنير .. انها تجارب فصلت الدين عن الدولة ، ولا علاقة لها بمبادىء الاسلام .

فمبادىء الاسلام : ـ كأى مبادىء عليا ـ حجة على كل من يسىء تطبيقها ، وليس العكس ، وكم من تجارب التاريخ ، ونظرياته المعاصرة .. أسىء استخدامها من قبل الحكام والشعوب .. فلم يقدم مؤرخ ، أو مفكر .. على ادانة النظرية ، أو المبدأ بقدر ادانة من أساءوا ستخدامها .

فلماذا الاســلام ومبادىء الاسلام وحدها هى التى تدينها ، ولا تدين أصحابها الذين أقاموا عصورا من خلافات غير راشدة .. رفعت شعار الاسلام .. وحكمت بغير مبادئه ؟ بل ابتدعت نظما ديكتاتورية .. ســلطوية .. ووراثيــة .. لم يأمر بها قرآن ، ولا حديث ، ولا سنة .. اننا هنا لو استبعدنا سوء النية .. فلن نستطيع تجاهل .. سوء الفهم .

وفى النهاية سنجد : هؤلاء ضحايا الخلط فى التاريخ المعاصر .. بين مبادىء الاسلام .. وبين تجارب اسلامية معاصرة .. فى الحكم مثل خومينى فى ايران .. ونميرى فى السودان ..

فالتجربة الأولى تجـربة شيعية خاضعة لمـذهب مرفوض من الأغلبية الاسلامية .. وخارجة عن جوهر النظم الاسلامية فى الحكم .. التى ترفض سيطرة رجال الدين على الحكم .. وتحصر الامامة فى الملالى (جمع ملة) وذوى العمامات السوداء ، والخضراء ..

فالحكم المسلم له مواصفاته : القائمة على أساس عقلى من حيث ضرورة توافر قدرات وخبرات معينة ، وينتخب انتخابا مباشرا وحرا من الأمة .. ورجـل الدين مجـرد فقيــه فى الشئون الفقهية ، والتشريعية .. فتــواه ليست مقدسة .. واجتهاداته مجـرد جهد شخصى لا تتحول الى قوانين ، وتشريعات .. ما لم تناقش وتصدر عن هيئة منتخبة من الأمة .

والتجربة الثانية أيضـــا مرفوضة لأنها متمردة على مبادىء الاسلام الاجتماعية والاقتصادية والجنائية ٠٠ حيث يحرم الاسلام اقامة حدود السرقة الا بشروط محددة ٠٠ ويرفض تنصيب حاكم مدى الحياة ٠٠ حتى لو أطلق على نفسه : أميرا للمؤمنين ٠٠

الرئيس و ٠٠ الاسلام المستنير

لو أن الشيخ جمـــال الدين الأفغانى ، والامام محمد عبده ، والشهيد حسن البنا بعثوا من قبورهم ٠٠ وحضروا احتفال مصر بليلة القدر بالمنوفية ٠٠ لما خاطبوا جماهير مصر بأكثر مما جاء فى خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك فى تلك الليلة ٠٠

وأحسب : أن أرواحهم كانت فى أوج سعادتها ، وهى تشهد خلاصة مفـــاهيم حركة التنوير ــ التى ضـــحوا ، واستشهدوا من أجلها ــ وهى تنطلق عبر الأثير لتصل الى أسماع الدنيا كلها ٠٠ من رئيس أكبر دول العـــالم العربى والاســـلامى ٠٠ ولتصبح ردا حاسما للذين يريدون حصر وظيفة الاسلام فى نطاقها العبادى ، ومكارم الأخلاق واجهاض دوره كمحرك لطاقات الشعوب ٠٠ بالعلم ، والعمل ، والانتاج ، ومفجر لحضارات الأمم ٠٠ بالأخذ بكل أسباب القوة الاقتصـــادية ، والتكنولوجيـــة ، والتنظيمية ٠٠ حتى تحقق ــ ليس فقط ــ مجرد السيادة ، والسعادة ٠٠ وانما تحقق بتفوقها المادى ، والمعنوى ، والخلقى ــ التسيد والريادة ٠٠ على حد تعبيره شخصيا ٠

والمفهـــوم الاســـلامى الشامل فى خطـــاب الرئيس لا يحتاج الى المزيد من التعليق أو التحليل ، أو محاولة البحث عن المفهوم بين ثنايا الكلمات ، والسطور ٠٠ فهذا المفهوم تعثر عليه ــ دون عناء ــ وبشكل مباشر ، وصريح ٠٠ صراحة عبر كلمات الرئيس ذاتها ٠٠

التى ترفض ـ رغم بساطتها وجرأتها ـ أى نوع من اللف ، والدوران ٠٠ ويكفى اعادة سريعة معى لقراءة بعض فقراته ٠٠ حتى تضع يدك على المفهوم المستنير دون جهد ، أو عناء ٠٠

وهذا (بعض) ما جاء فى هذا الخطاب :

ان حال أمتنا اليوم لا يصلح الا بما صلح به حالها بالأمس ٠٠ فاذا أرادت أمتنا أن تعود الى مجدها ، وأن تتغلب على مشكلات يومها فعليها أن تجعل القرآن طريقها ٠٠ ومرجعها فى كل أمورها ٠٠

دعاهم الاسلام الى الوحدة فتوحدوا ٠٠ والى المساواة ، فنبذوا الطبقية ، والعنصرية والطائفية ٠٠ والى الحرية فتحرروا ٠٠ وحطموا أغلال غيرهم من المقهورين دون اكراه فى دين أو اجبار على عقيدة ٠٠ دعاهم الى الشورى ٠٠ فأقاموا حكما ديمقراطيا قبل أن تمارس أرقى دول العالم الحكم الديمقراطى ٠٠

ودعاهم القرآن للعلم فتعلموا ، ونبغوا ، وحفظوا علوم السابقين ، وأضافوا الكثير ـ من اختراعاتهم ـ حتى تركوا تراثا غنيا لمن بعدهم ٠٠ وكان هذا التراث أحد ركائز النهضة الأوربية ٠٠

ودعاهم الى العمل فكدحوا ، وكدوا حتى توفرت متطلباتهم ، وتحررت ارادتهم ودعاهم الى السماحة فنبذوا التطرف ، والتعصب ولذلك فقد اتسعت دولهم الاسلامية لغيرهم من غير المسلمين ٠٠ من خلال قاعدة احترام الرأى الآخر ، واحترام الدين الأخر ٠

ان القرآن الكريم يدعونا منذ آياته الأولى الى النظر ، واعمال العقل فى أنفسنا وفيما حولنا بالعلم والقلم :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق) (١)

---

(١) سورة العلق : آية ١ ، ٢ ٠

ألا يوجه ذلك بصائرنا الى وجوب التحول الكبير بالأخذ بعلوم العصر ، لنأخذ دورا حضاريا ، ونستعيد ماضينا فى : الريادة ، والقيادة ، والتحضر ، والتصدر ··

ان قرآننا الكريم يدعونا ـ بعد العلم ـ الى القوة بمفهومها الشامل·· القوة الاقتصادية والعسكرية·· والمادية·· والعملية ·· والحضارية من خلال التعميم المعجز فى قوله جل شأنه :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (٢) ·

فهل آن الأوان ، ليعمل عالمنا الاسلامى على أن يكون قوة ـ يحسب لها العالم الحساب ··

لقد ثابت مذاهب مادية عالمية الى رشدها فعادت تقر بجدوى الدين فراحت تسقط طواغيت المادية العمياء والالحادية النكراء ، لتفسح الطريق الى التدين لاحداث ذلك التوازن الروحى المادى الذى يربط السماء بالأرض ، ويجعل الحياة أمانة ، ومسئولية ، وينفى ان الدنيا ـ فقط ـ هى نهاية المطاف ··

ولتكن دعوات الدعاة ، وكلمات المرشدين ·· مستوعبة لكل هذه الحقائق التى تعمل على تعمير الدنيا ·· كما تهتم بحساب الآخرة ·· والتى تعنى بتمكينهم من حياة سعيدة رفيعة قبل تمكينهم من ميتة مطمئنة وديعة ·· وليكن قرآننا الخالد ·· طريقنا الى كل ما ننشده من نجاح ·· وهادينا فى كل ما نخوض من كفاح ·· فلنسر على هداه ·· ولنجتمع دائما على سناه ··

وفى النهاية أقول :

انه بقدر اعتقادى : بان هذا الخطاب قد أسعد أرواح العديد

---

(٢) سورة الأنفال : آية ٦٠ ·

من حركة التجديد والتنوير الاسلامى ٠٠ الذين بحت أصواتهم فى تبيان أن الاسلام ليس مجرد دين عبادة وتصوف ، ودروشة ٠٠ ولكنه مـذهب لادارة شئون الحيـاة السياسية ، والاقتصـادية ، والعسكرية ٠٠ وأنه محرك لطاقات الشعوب ، ومفجر لحضارات الأمم ٠ بقدر اعتقادى بأنه قد أثار أكثر من تساؤل بين بعض الاخوة الذين ما زالوا يحرثون فى البحر ، ويحاولون ـ من خلال مقالاتهم وكتبهم ـ أن يوهموا أنفسهم ، ويخدعوا غيرهم بأن الاسلام مجرد دين ٠٠ يحض على التمسك بمواقيت الصلاة ، ومكارم الأخلاق ٠٠ والحرص على حضور ندوات المتصوفة ، وحلقات ذكر الدراويش ٠٠ حتى تفسح الطريق لأى مذهب مادى ٠٠ لحكم المسلمين بغير مذهب المسلمين ٠٠

لهذا ٠٠ فقد كنت سعيدا جدا ٠٠ بحضور بعض رموز هذا التيار من أمثال المستشـار سعيد العشـماروى ٠٠ والدكتور فرج فودة ٠٠ فلا شك أن هذا الخطاب سيجعل الكثيرين منهم يعيد الكثير من حساباتهم ٠٠ ومواقفهم من خلال مذهب البرجماتية السياسية التى يدينون لها بالولاء ٠

نقطة تحول ٠٠ فى فهم الاسلام

ان الذى يتأمل المعانى الهامة التى وردت فى هذين الخطابين٠٠ يلاحظ أنها تحتـوى نقاطا تمثل نقطة تحـول هامة ٠٠ فى فهم دور الاسلام ـ خاصة بين حكام المسلمين ـ الذين سيطر على تفكيرهم ذلك (المفهوم الفاطمى) للاسلام ، والذى حصر دور الاسلام ـ ولعدة قرون ـ (داخل) المسجد فى العبادات ، واغراق جهـد المسلمين (خارجه) فى الطقوس والاحتفالات ، والموالد ، والعديد من مظاهر الدروشة ، « والتنبلة » ٠٠ غاب خلالها العقل الاسلامى عن الالتفات لدور الاسلام الحضارى ٠٠ الذى يدعو للأخذ بأرقى وسائل العلم ،

والانتاج والتكنولوجيا ·· لدفع الأمة الاسلامية الى أعلى ذرى التقدم ، والتحضر ، والقوة ··

واذا كان هذا ما حدث فى مصر ·· فان النظرة المتعمقة لتاريخ الأمة الاسلامية ·· تؤكد : ان أخطر الآفات التى أصابتها ـ بعد حوادث الفتنة الكبرى ·· والتى حولت الخلافة من «عقد ديمقراطى» الى « تكية وراثية » ـ هى تلك النظرة (الأحادية) لمهمة الاسلام ·· وهى نظرة حصرت دور هذا الدين العظيم فى « النطاق العبادى » ، وأجهضت الجانب ·· الذى يدعو الى عمران الأرض ، بالعلم والعمل، بالفكر والتشريع والابداع ، والانفتاح على كل انجاز حضارى ·

قد أدت هذه النظرة المتخلفة الى تقوقع « الفكر الاسلامى » داخل كهوف ، وسراديب « فقه العبادات » ·· دون الانطلاق الى فقه المعاملات ·· لتجسيد تعاليم الاسلام ـ المتوازنة والشاملة ـ والتى تؤكد : أن العمل داخل معامل الكيمياء ، وحقول الزراعة ومراكز الصناعة ·· وساحات الجهاد ·· هو قمة العبادة مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصريحة :

« مجلس علم خير عند الله من عبادة ألف عام » ··

وقــوله :

« ما أكل رجل طعاما قط خيرا مما أكل من عمل يده » ·

وقوله صلى الله عليه وسلم :

« رهبانية أمتى ·· الجهاد فى سبيل الله » ·

فالاسلام ـ كآخر رسالة من السماء للأرض ـ لم يأت ، لكى يخلق أمة من الدراويش ·· تصوم النهار ، وتقوم الليل ، ثم تغيب عما حولها فتهجر العمــل ، وتحتقر العــلم ·· وتعيش عالة على ابداعات ، وخيرات غيرها من الأمم ··

هـذا لعمرى فهـم ظالم ، ومنقوص لتعاليم الله ·· وامتهان لمبادىء الاسلام ·· فالله سبحانه وتعالى غنى عن كل عبادات البشر، ولا يقبل أمة تقاعست عن أداء دورها ·· فى تعمير الأرض (بالعلم والعمل) ، كى تصبح جـديرة بالمكانة التى اختارها الله لها ·· واذا كان لهذه العبادات من دور ·· فانه لا يتعدى تزويد (الجانب الروحى) للانسان لاشباع حاجته الدائمة للصلة بالله··لكى يستمد من (عبوديته) له مشاعر العزة ، والحرية ، والتحرر من الخوف والقلق ·· التى تعينـه على مواصلة دوره فى الحيـاة ·· وخلق مجتمع عزيز ·· خال من النفاق والخوف ·· يتمسك كل من فيه بالحرية ، والعدل ، والمساواة ·

ولكن عهود الخلافة (غير الراشدة) من الأمويين الى العثمانيين ابتلت العالم الاسـلامى بحكام دفعوا الفـكر الاسلامى الى تضخيم الجانب العبـادى ، وتقليص المفهـوم الاسـلامى الشامل ·· حتى ينصرف جهد معظم الناس الى الصلاة ، والصوم والحج ، والتصوف والدروشة والخوف واهمال دورهم فى اعمار الأرض ·· وتحريرها من الطغيان مما يتيح لهم (حرية العبث) ·· بمصائر البلاد بعد أن استولوا على ثروات العباد ·

وكانت النتيجة ·· أن جمعوا حولهم عديدا من فقهاء السلطة الذين حولوا فقه العبادات الى (دروشة) ·· حيث لعب هذا الفقه دورا شريرا فى (تغييب) العقل المسلم لأكثـر من عشرة قـرون مضت ·· أفاق بعدها العالم الاسـلامى ·· لكى يجد نفسـه فى مؤخرة أمم الأرض فكرا ·· وعلما ·· وحضارة ··

ولم يكن العيب فى الاسلام ولكنه كان فى المسلمين ، وسلاطين المسلمين ·· الذين حاولوا قصر المفهوم العبادى الدينى ·· وتعمدوا تجاهل المفهوم الحياتى الدنيوى ·· ولهذا فعندما جاء لهذه الأمة من ينبهها الى الخلل ·· من أمثال الشيخ جمال الدين الأفغانى ،

والشيخ محمد عبده ، والشهيد حسن البنا كان كلامهم ٠٠ غريبا ٠٠ على المسلمين ـ حكاما ومحكومين ٠٠

مع أنهم لم يطلقوا سوى صرخة تقول :

ـ يا أمة المسلمين ٠٠ ليس الاسلام مجرد صلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، فحسب وانما هو نظام كامل لادارة شئون الحياة ٠٠ نأخذ فيه من تراث الشريعة ما يوافق عصرنا ٠٠ دونما حجر على فكر ، أو عقل أو مستقبل ونضيف اليه الجديد ليجارى ظروف العصر مع الانفتاح الكامل ٠٠ على الانجاز الحضارى الانسانى نأخذ منه ما يدفعنا للتقدم ٠٠ بما لا يصطدم مع جوهر عقائدنا « فحيثما تكون مصلحة المسلمين فثم شرع الله » ٠٠

من هنا ٠٠ فان خطبة الرئيس محمد حسنى مبارك فى الأزهر وفى ليلة القدر ٠٠ تعتبر ـ فى رأيى ـ نقطة تحول شجاعة ٠٠ طالما افتقدناها فى حكام المسلمين ، ويتكلمون عن الاسلام ٠٠ ودوره فى المجتمع ٠٠ وهى نقطة تنفض كاهل الاسلام ركام قرون عديدة ٠٠ من النظـرة الأحادية لدور الاســلام الذى كان يحصره فى مجرد الايمان ، والتعبد ٠٠ متجاهلة أنه كان أول دعوة فى تاريخ البشر للأخذ بالعلم الى جانب الايمان ٠

لذلك فعندما تحـدث الرئيس عن العبادة فقال : فالايمـان الصـحيح لا يكتفى من المؤمن بالعبـادة ٠٠ لأن الله خلق الأرض ليعمرها عباده ، وطلب منهم : أن يمشوا بعد الصلاة فى مناكبها ليأكلوا من رزقه ٠٠

وعندما تحدث عن العلم ـ الدعامة الثانية فى الدعوة الاسلامية فقال : أعتقد أنه العلم الشامل الذى يضم علوم الدنيـا مع علوم الدين ، فبعلوم الدين يستقيم أمر الانســان فى علاقته بخالقه ، وبعلوم الدنيا يستقيم أمر الانسان فى علاقته بالحياة من حوله ، وبكل ما يرتبط بهذه الحياة من طبيعة ، وزمان ، ومكان بحيث

يسخر كل شيء من أجل حماية الانسان وسعادته وتحقيق العمران ، وتقدم الحضارة ٠

ثم يقول فلنأخذ أنفسنا بما يقتضيه الايمان الصحيح ، والعلم الصحيح ، ولنجعل من هذين الأمرين ركيزتين أساسيتين لنهضتنا المأمولة فانه لم يصلح أمر أمتنا اليوم الا بما صلح به أمرها بالأمس ٠٠ أى بضرورة النظرة الشاملة لمفهوم الاسلام ، والتحرر من هذه النظرة الأحادية ٠٠ التى جعلت الأمة المسلمة تمضى من خلال منهج أعرج يمشى على قدم واحدة انعزلت فيه المسيرة الاسلامية عن ركب العلم ، والحياة ، والتقدم ٠٠ بعد أن حوصر النشاط الاسلامى داخل المسجد ، والتكايا ، والزوايا ٠٠ من خلال مفهوم عبادى متخلف ، ومتزمت ٠٠ أصل الأمة الاسلامية الى هذه النهاية الدراماتيكية ٠٠ والتى لا تتفق مع ذلك الذى أودعه الله بين أيديها ٠٠ ألا وهو : النظام الاسلامى ٠٠

ان ما جاء فى هذه الخطب يعبر عن فهم اسلامى مستنير ٠٠ نرجو : أن نشهد له انعكاسا ليس فقط داخل أروقة الارشاد الدينى فى المساجد ٠٠ وانما أيضا فى معابد العلم وساحات العمل ، وليس فى مصر فقط ، وانما فى بقية العالم الاسلامى ٠

لماذا انصرفوا عن الاسلام ؟

ولكن ٠٠ ما الذى جعل النـــاس ينصرفون عن دينهم ٠٠ أو بمعنى أدق ٠٠ ما الذى جعل الاسلام يتحول فى حياتهم ٠٠ من منهج حيـــاة ٠٠ الى مجرد عقيـــدة غائبة فى الأعماق ٠٠ لا ترتبط بمعيشتهم ، ولا تنعكس على تصرفاتهم ٠٠ بعد أن حول الاسلام أمة القبائل المتناحرة ٠٠ الى امبراطورية كبرى ؟؟

لا شك أن هناك عدة عوامل ٠٠ ولكن العامل الرئيسى يكمن

فى انحسار عهد الخلافة الراشدة ·· التى كانت تمضى على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاليم القرآن ·· عندما ورثتها خلافة غير راشدة بدءا بالأمويين وانتهاء بالعثمانيين ··

ولما كانت معظم عصور هذه الخلافة السوداء مليئة بمظاهر التنكيل والاضطهاد ·· والقهر الا فيما ندر ·· ولما كان هذا الاضطهاد ·· ينصب فى الغالب ·· على كل من يقول الحقيقة من العلماء ·· والفقهاء ·· فقد اضطر الفقه الاسلامى بشكل عام أن يتقوقع ·· فى حيز الشئون العبادية وفروعها ·· المتعلقة بالصلاة والصيام والحج ·· وتفنن معظم هؤلاء الفقهاء فى الحديث عن أمور صغيرة تمحورت كلها حول ما يشبه الطقوس الواجب اتباعها عند الوضوء أو الاستحمام ، أو دخول دورات المياه ، او الحج ، أو الصيام ··

وانعكاسا لسيطرة هذه القلة المتخلفة ·· انصب كلام الناس فى المساجد حول شروط الوضوء وما اذا كان يمسح الرأس كلها ، أو نصفها ، أو ربعها ، وعن مبطلات الوضوء لو أن المياه لم تصل الى (كرسوع) أو عرقوب القدم ··

وعن ضرورة دخول دورات المياه بالشمال ، والبيوت باليمين، وعن الصلاة بغطاء الرأس أو بدونها ·· وعن ضرورة اطلاق اللحى·· أو عدم اطلاقها ··

فاذا دخلت المسجد : وجدت اماما متجهما يفتح أمامك ألف باب : تؤدى بك الى الجحيم ·· ويقفل أمامك ألف باب آخرى ·· قد تصل بك الى الجنة ·· وتدنى مفهوم الفقه ، وانحصر فى الفروع ، والطقوس ·· وانفصل تماما عن حركة الحياة اليومية سياسيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ··

وقد وسعت هذه المناهج المتخلفة من الفجوة بين الناس ، والفقهاء حتى أصبحوا يطلقون عليهم : (الفقها) بدون « الهمزة » ··

وهم الذين اقترنوا في أذهان الناس بالموالد ، والأولياء ·· وموائد الفتة وأخذ الناس يروون عن فتاواهم الكثير مما يثير الحزن أحيانا ، والضحك أحيانا أخرى ·· كتلك الأقصوصة التى كانت تروى عن (فقى) اشتهر بين الناس بالتزمت الشديد ·· أفتى - يوما - بضرورة هدم جدار منزل (بال) عليه كلب وعندما فاجأوه بأن (الجدار هو جدار منزله ·· قال وهو (يتحوقل ويتبسمل بل قايل من الماء يطهره) ··

ثم كان ·· ما أثار سخط معظم الناس من بعض (فقهاء) السلطة عندما أفتوا : انتساب جدود الملك فاروق الى النبى صلى الله عليه وسلم ·· رغم أن تلاميذ الابتدائى يعرفون تماما أصول أجداده (الألبانية) ··

أما المرأة ·· فقد حظيت بنصيب من فتاوى هؤلاء المتزمتين : فهى فى نظرتهم مخلوق من ضلع أعوج ·· وهى (ناقصة عقل ، ودين) وهى ·· (تجتمع برجل الا كان الشيطان ثالثهما) ·· من خلال أحاديث ضعيفة السند تختلف تماما عن أقوال الرسول الثابتة (خذوا نصف دينكم عن عائشة) وما قاله القرآن عن حكمة وعقل (ملكة سبأ) وعن اختلاط النساء المجاهدات فى مجالس علم الرسول ، ومعاركه ، وغزواته ··

المهم ·· كانت هذه صورة (العقل الاسلامى) الذى أراد بعض المتزمتين تكوينه على هذه الصورة المتخلفة ·· اعتمادا على نقل الفقه من التراث دون فكر ابتكره أئمة عظام من أمثال : مالك ، وأحمد ابن حنبل ، والشافعى ، وأبو حنيفة ·· الذين ظهروا فيما بين عامى (٩٠ و٢٥٠ هجرية) ·

وظل الكسالى من الناس ·· يعيشون على فقه تراثى دون تطوير بما يوافق تغيير العصور ·· كما فعل هؤلاء الأئمة العظام فى عصورهم ·· حتى ظهر الدعاة الجدد بدءا بالأفغانى ، ومحمد

عبده وانتهاء بحسن البنـا والدكتور يوسف القرضاوى والشيخ محمد الغزالى ، والدكتور عبد العزيز كامل رحمه الله .

وقد كان ظهور هؤلاء نقطة تحول بالغة الأهمية .. فى فقه الشارع الاسلامى .. حيث خـرج مفهومه الضيق من مجـرد فقه عبادات الذى يحـاصر الدين فى مجرد شعائر تقام بالمساجد .. وحلقات ذكر تنصب حول التكايا ، وتواشيح تنشد حول الموالد ، والزوايا .. الى فقه معاملات .. يحرك طاقة المسلم ووجدانه معا .. من خلال منهج متوهج يحض على التقدم ، والعمل فى كافة مجالات الحياة .. منهج له وجهة نظر محدودة فى النواحى : السـياسية والاقتصادية ، والاجتمـاعية ، والعلمية .. بل من خلال نظـرية شاملة تتفوق على النظريات الاشتراكية ، والرأسمالية المعاصرة .. التى تحكم شعوب العالم ..

ومنذ أن تفجر هذا الفقه الجديد فى حياتنا بدأنا نسمع لأول مرة تلك الأحاديث الباهرة .. التى لم تكن تتردد على السنة فقهاء عصور انحطاط الفكر الدينى .. والتى لم تكن تدعو الناس الا الى التوكل .. والاستسلام .. وقبول الظلم كقضاء من الله وعلى المؤمن أن يتحمله .. مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الناس اذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده » ..

فى واحد بين عشرات الأحاديث التى تنادى بالتصدى للظلم ومقاومة الظالمين .

وفى العلم سمعنا :

« مجلس علم خير عند الله من عبادة ألف عام .. » .

وفى العمل :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ..

وفى ضرورة تدخل الحاكم لاحداث التوازن الاقتصـادى عند حدوث خلل وجور الأغنياء على (حق الفقراء) : (اذا جاع المسلمون فلا مال لأحد ٠٠) ٠

وفى حض المسلم على التمسك بكرامته ، وعزته حتى لا تزله ماديات الحيـاة (اطلبوا مطالبكم بعزة الأنفس فان الأمور تجرى بمقادير) ٠٠

و ٠٠ هكذا أراد الفقه الاسـلامى المسـتنير أن يكون المسلم عزيزا فى مجتمعه ٠٠ وأن يكون مجتمعه مجتمعا قويا٠٠ بين الأمم٠٠ ليس بالشعارات ، ولا بمجرد تلاوة القرآن والتواشيح فى الشوادر دون عمل ٠٠

فحياة المسلم علم وعمل ، وكفاح مستمر لنيل كل أسباب القوة : الاقتصادية ، والتكنولوجية ، والعسكرية ٠٠ فلا تواكل ٠٠ ولا تنبلة ٠٠ ولا رهبانية فى الاسلام ٠٠ بعد أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله » ٠٠

هذا هو الفقـه الحقيقى ٠٠ الذى توارى وراء رماد سنوات تخلف الفكر الدينى٠٠ المنحصر فى العبادات والشعائر ٠٠ وأقصد : فقه المعاملات ٠

الحزب السياسى و ٠٠ الحزب الاسلامى

ومما يثار بين الدولة ، والتيار الاسلامى فى مصر ، وتختلط فيه الأوراق ٠٠ ما يثار حول الحزب الدينى ٠٠ السياسى ، والحزب الدينى الذى يحكم دولة دينية ٠٠ تستند حكومتها الى سلطة الهية ٠٠ أمر مرفوض اسلاميا قبل أن يكون مرفوضا دستوريا ٠٠ ولأن هناك خلطا فى هذه المسألة ٠٠ فاننا يجب أن نعترف ــ بداية ــ

أن هناك من يعتقد : بأنه لكى تكون هناك دولة اسلامية ·· فلابد ان تكون هناك حكومة دينية ·· يمهد لها حزب دينى ··

وهذا طرح - علاوة على مناقضته للفقه الاسلامى المستنير - فهو طرح لئيم لا يثيره سوى أعداء الحركة الاسلامية ··

وحتى لا تختلط الأمور ·· ولا تتعاظم المخاوف التى يثيرها البعض حول الحركة الاسلامية المعاصرة ·· فان القارىء الذكى يجب أن يفرق - وسط الضباب المثار : أن هناك فرقا بين (المشروع الاسلامى) ، و (المشروع الطائفى) ·· و (المشروع الدينى) ·· ذلك ، أن أعداء الاسلام يحاولون : طرح المشاريع الثلاثة على أنها مشروع واحد ·· يهدف ضرب المشروع الاسلامى بالذات ··

فالمشروع الطائفى : هو الذى يفرز حزبا سياسيا طائفيا يعمل لصالح طائفة معينة - دون بقيـــة طوائف الأمة السياسية ، أو الدينية - ولا تمتد حركته خارج نطاق هذه الطائفة ويتمركز نشاطه - بل ويتعصب - لصالح أبناء هذه الطائفة دون غيرها ·· بغض النظر عن تعارض هذه المصالح - أو تصادمها - مع مصالح بقيـة طوائف المجتمع ·· أو الأمة ·· وهذا يدفع الطوائف الأخرى سواء من نفس الملة ، أو المجتمع الى تكوين أحزاب طائفية للحفاظ على مصالحها الخاصة ·· مما يؤدى الى صدام كما هو حادث فى لبنان ·

والمشروع الدينى ·· هو الذى يفرز الحزب الدينى الذى يعمل على قيادة حكومة تقيم سلطتها على أساس دينى بحت ·· تستند الى المصـدر الدينى ·· وتفويض الهى مزعوم وتحتمى فى نصـوص منزلة ، أو مفسرة لصالحها ·· مما يضفى على قراراتها نوعا من القدسية ·· لا تقبل معه أى نوع من الحـوار ، أو النقاش ، أو الرقابة ، والحسـاب ·· مما يؤدى الى نوع من « الديكتـاتورية الدينية المعصومة » ·· يصعب تغييرها ·· الا بالصدام ، والقوة ··

وهو المشروع الذى رفضه ـ بحق الدستور المصرى ـ والذى ترتب عليه رفض قيام حزب دينى ··

أما المشروع الاسلامى المعاصر ·· فهو شىء مختلف تماما ·· فهو مشروع لا ينطلق من الدفاع عن مصالح طائفة معينة ، وانما الى حماية مصالح الأمة كلها ، وتحمى مظلته حقوق المسلمين وغير المسلمين ، ويلغى تماما فكرة السلطة الدينية ، أو الحكومة الدينية ·

والحكومة فى المشروع الاسلامى السياسى ·· حكومة مدنية منتخبة من الأمة بكل عناصرها ، وتستند مشروعيتها من خلال عقد سياسى يطلق عليه : (عقد الامامة ··) والحاكم باق فى مكانه طالما هو ملتزم بقوانين هذا العقد ·· فان خان بنود هذا الاتفاق ·· فان للأمة أن تخلعه من خلال برلمان منتخب ·· يزاول ـ فى حالة وجوده ـ سلطاته الرقابية والتشريعية ··

فالدولة الاسلامية ـ فى المشروع الاسلامى ، دولة مدنية ، لا هى دينية ولا هى تستند الى حزب طائفى ، أو دينى ·· وانما تستند الى حزب سياسى اسلامى : أى حزب ينادى بتطبيق قوانين الشريعة الاسلامية ·· على المسلمين ، وغير المسلمين ، وهذا المشروع كما أنه لا يعترف بالحزب الدينى ـ لا يعترف أصلا بالدولة الدينية· فهذه الدولة : لا يعرفها الاسلام ·· وانما هى تهمة ·· للتشويه ، والتخويف ، وتنفير الناس من الاسلام ، ومن المشروع الاسلامى ··

والمشروع الاسلامى السياسى ·· الذى ينادى به المفكرون المستنيرون ·· هو المشروع الاسلامى الحضارى ·· الذى يحتضن المسلمين ، وغير المسلمين فى الشرق ، ولا يعنى الاسلام العقيدى البحت الخاص بالمسلمين ·· وانما هو وعاء للبحث عن الهوية ، والذاتية ·· يضم : المسلمين وغير المسلمين ·· فى الأمة العربية بعد أن تاهت ، وتفسخت هذه الهوية تحت مطارق سنوات طوال من الاغتراب ، والاحتلال ، وهو مشروع يتفق مع ذلك الفكر غير

المتعصب والذى لخصه السياسى المصرى العتيد ، مكرم عبيد ــ فى قولته المشهورة : (اننى مسيحى : « دينا » ·· مسلم : وطنا وثقافة) على أساس أن التراث الحضارى الاسلامى ·· يشترك فيه كل من المسلمين وغير المسلمين ·· من أبناء الأمة العربية ··

ومن الطبيعى : أن الفكر السياسى ·· وهذا التراث العظيم ·· الذى يبحث عن هويته الخاصة للخروج من المأزق الحضارى الحالى ·· من الطبيعى أن يكون لهذا الفكر الاسلامى السياسى المستنير حزب سياسى : يدعو الى : تجسيد هذه القيم السياسية الاسلامية ·· فى حياتنا ·· وهى دعوة يشترك الجميع الآن فى احيائها ·· بدءا من الدستور ·· الذى جعل الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ، ومرورا بما ذكره الرئيس فى المناسبات الدينية المتعددة والتى قال فى آخر مناسبة منها ــ ليلة القدر : أن حال هذه الأمة لا يصلح الا بما صلح حالها بالأمس ·· فاذا أرادت أمتنا : أن تعود لمجدها ، ون تتغلب على مشكلات يومها فعليها أن تجعل القرآن طريقها ، ومرجعها فى كل أمورها ··

ولأن القرآن ، والاسلام يحتويان : شقا عباديا دينيا خالصا خاصا بالمسلمين ، وشقا سياسيا دنيويا خاصة بالفرد والمجتمع والأسرة والدولة والحكومة ··

فمن الطبيعى أن يكون للمشروع الاسلامى حزب سياسى ·· كما للاشتراكيين حزب اشتراكى ·· كما للرأسماليين حزب رأسمالى ·· لكى يجسد هذه المعانى للشارع السياسى ، ولكل من يعيش فى هذا الشارع من : مسلمين ، وغير مسلمين عليه أن يترك لهذا الشارع حرية اختيار التيار الذى يحكمه ·· من خلال التعددية التى تنعم بها ··

وما دام نشاط هذا الحزب وغيره ·· سيكون مفتوحا للمسلمين ، وغير المسلمين ·· وسيكون فى النور ·· ومن خلال

القنـوات الشرعية فلابد : أن تتحرر من أى قلق ، أو خـوف أو مزايدات مريضة لا يثيرها الا عداء الحركة الاسلامية المستنيرة ٠٠

والغريب : أن هذا القلق ٠٠ وهذه المخاوف ٠٠ هى مخاوف ، وافدة ، ودخيلة على عالمنا الاسلامى ٠٠ ومن العجيب : أنها تأتى لنا من العالم المسيحى المتعصب ضد المسلمين ٠٠

رغم أن هذا العالم الذى يحاول ـ هنا ـ فصل الاسلام عن السياسة ٠٠ تظهر فيه قيادات دينية بحتة تؤدى أدوارا سياسية ، فاقعة بدء ببابا الفاتيكان ٠٠ وانتهاء بقساوسة بولندا ٠٠ ومرورا بدهاقنة كنائس أمريكا اللاتينية ٠٠ التى تنطلق حركتهم السياسية من خلال فلسفة لاهوت التحرير ٠٠

أما العالم الاسلامى والعربى ٠٠ والذى لا يعرف اسلامه فلسفة التفرقة بين ما لله وما لقيصر٠٠فانهم يوهمونه : أن العمل السياسى الاسلامى رجز من عمل الشيطان ، وأن النشاط الدينى هنا يجب أن ينحصر فى : المساجد ، والتكايا ، وحلقات الذكر ٠٠ وأن الخطاب الدينى يجب أن ينحصر فى : مكارم الأخلاق ، والعمل الخيرى ٠٠

أما العمل السياسى : فيجب أن تقوم به أحزاب : شيوعية ، أو ماركسية ، أو صهيونية لكى نحـكم دائما بقوانين ، ودساتير غريبة عن ذاتنا واسلامنا ٠٠

انهـا ـ لعمرى ـ مؤامرة تثير من الغضـب قـدر ما تثـير من الرثاء ٠٠



قبل أن تحرثوا ٠٠ فى البحر

على كل ٠٠ ففى المحاضرة التى ألقاها الدكتور / مصطفى الفقى سكرتير : الرئيس للمعلومات فى لقائه الصريح بأعضاء نادى هيئة التدريس بالجامعة والتى تعرض جانب منها لدور الاسلام ٠٠ فى حياة الدولة ٠٠ نقاط عديدة تثير التأمل ٠٠ وتغرى بالتوقف الطويل عندها ، ولأهمية هذه النقاط ، فسأكتفى برصدها فهى من الوضوح بما يجعلها قادرة على تفسير نفسها ٠٠ دون الحاجة لمزيد من القاء الأضواء ، أو التعليق ، أو التوضيح ٠٠ قال هذا الرجل المسئول ٠٠ والمثقف الكبير :

التـــاريخ المصرى له جاذبية خاصـــة ٠٠ لعراقة حضـــارته الفرعونية ، ورغم ذلك فان تاريخ مصر لا يقف عند حدود تاريخها القديم ٠٠ فمصر ــ رغم أنها ليست أرض المقدسات ــ الا أنها ــ بالنسبة للمسلمين ــ مركز العالم الاسلامى ٠٠ بل كانت فى لحظات غناها ٠٠ وفقرها ٠٠ وانكماش عاصمة العالم الاسلامى ــ وحامية تراثه ، والمحافظة على ثقافته العربية الاسلامية ، وقد لعب ــ فى ذلك ــ الأزهر دورا يمتد الى أكثر من ألف عام ٠٠

رحب المصريون بالاسلام ، رحبت به الكنيسة القبطية خلاصا من حكم رومانى مستغل ، واستأنس المصريون بالفتح الاسلامى ، وأملوا فيه خيرا ، وكان لهم ما توقعوه ٠٠ حتى جاء العصر الفاطمى، وتحولت الصلوات فى الكنائس الى اللغة العربية ٠٠ وكان ذلك ايذانا بأن مصر أصبحت عربية بشكل مطلق ، ولعل ذلك هو القيمة الحقيقية لمصر ٠٠ بذلك الانسجام الكامل فى شخصيتها ، فليس فى مصر أقليات : لغوية ، أو عرقية ، أو دينية ٠٠ لأن غير المسلمين

عاشوا فى اطار الثقافة العربية الاسلامية ، وقبلوها طواعية ، وشاركوا فيها ٠٠

ان التيار الاسلامى له جذوره الراسخة فى مصر ٠٠ وحتى الحركات الوطنية ـ مثل حركة عرابى ـ خرجت من عباءة هذا التيار فى مصر فى بداية هذا القرن ثم انتشر فيها فيما بعد على يد حسن البنا ولابد أن يكون أبو الأعلى المودودى ، أو أى مفكر فى العالم الاسلامى تلميذا مباشرا لحركة الاخوان المسلمين فى مصر وهذه ـ من وجهة نظرى ـ حقائق علمية لا نستطيع أن نجادل فيها٠٠

كما أن غير المسلمين لا يجادلون ولا يناقشون فى التيار الاسلامى المعتدل ـ على الاطلاق ـ ٠٠ بل ان منهم من يشعر بأن سيادة التيار الاسلامى المعتدل فيها تأمين له ، وضمان لأمته ولكن هناك فرقا بين هذا التيار الرشيد ، والتيار المتطرف ٠ والتطرف : هو السعى لفرض الرأى المخالف بالقوة وهذا مخالف للاسلام ٠٠

فالاسلام : ليس ارهابيا ولا تهديدا بالقتل ٠٠ فهو أكثر الأديان سماحة وقوة ، وتدخلا فى حياة البشر وتنظيما لها ، من هنا فالتطرف تشويه لجوهر الاسلام يجب علينا جميعا أن نتصدى له ٠٠

ان رجلا مثل حسن البنا ـ الذى أنشأ الاخوان المسلمين ـ كان داعية فاضلا لا يؤمن بالعنف ، ويدينه اذا حدث ٠ وقد عرف بفضله وورعه ٠٠ ولا يزال يذكر له ذلك حتى اليوم ٠٠

فالتيار الاسلامى الرشيد المتعقل ، لا يرفضه أحد٠٠ولا يجادل فيه أحد٠٠الا الذين يعادون الاسلام٠٠أما التيار المتطرف فمرفوض من المسلمين جميعا ٠٠ لأن المصرى بطبعه يرفض التطرف والعنف ٠٠

أقول ذلك ، لأؤكد على : أن الانتماء الأساسى المصرى ، اذا كان انتماء اسلاميا رشيدا هو أمر محبب ، وعظيم للغاية ٠٠ بل أن

الحاكم المصرى ‥ لا يكون حاكما وطنيا الا اذا أقر : بأن المعتقد الأساسى لدى هذا الشعب هو الدين الاسلامى الحنيف ‥

بالنسبة لتطبيق الشريعة الاسلامية ، فان هذا الموضوع كان قد قطع أشواطا فى فترة معينة ‥ من خلال جهود تقنين الشريعة فى مجلس الشعب ، وثبتت فى النهاية : أنه من الأفضل تنقية القوانين القائمة مما يتعارض مع الشريعة الاسلامية كمرحلة أولى ‥ فالمسألة لا تأتى بين يوم وليلة فلابد من التدرج ، حتى نصل الى نتائج أفضل ‥ فالنية موجودة ، واحترام الشريعة محل تقدير ، والاحساس بأنها مجموعة قانونية متكاملة ندركه تماما ‥

والسؤال ‥ هل للنظام توجهات نشعر منها أنها توجهات معادية للشريعة ‥ ؟ بالقطع لا ‥

مـــرة أخـــــرة ‥

أكتفى بهذا القدر من محاضرة الدكتور مصطفى الفقى سكرتير رئيس الجمهورية للمعلومات ‥ وهو قدر اذا أضيف للمعانى التى وردت فى خطب الرئيس الاسلامية يلقى أضواء ساطعة على موقف النظام من التيار الاسلامى الذى يدين ـ كما ندين جميعا ـ التطرف ، ولكنه لا يعادى التيـــار الدينى الرشيد المستنير ‥ بل يقره ، ويسانده ، ويعترف بجذوره التاريخية ‥ وبدوره المهم فى مصر ، والعالم العربى .

وعلى الذين يخلطون الأوراق ، ويحاولون تصوير النظام فى صورة معادية للتيار الاسلامى بشكل (عام) ‥ أن يعيدوا ترتيب أوراقهم أو على الأقل اعادة هذه النقاط ـ وبتمهل ـ مرة أخرى ‥ قبل أن يكتشفوا : ـ متأخرين ـ أنهم كانوا يحرثون فى البحر ‥



الفصل الثاني

وقفة صريحة مع الحركة الاسلامية

وقفة صريحة .. مع الحركة الاسلامية المتطرفة

فى حفل جمع بين داعية متزمت وعالم اسلامى مستنير جاء ليلقى محاضرة .. حاول أحد المصورين الصحفيين التقاط صور الحفل .. فما كان من الداعية الا أن قام من مكانه وحاول منعه بالقوة وتكسير « الكاميرا » .

وعندما عاد الداعية المتزمت

سأل العالم : لماذا لم تشترك معى فى منع التصوير ؟

فقال العالم : لماذا أمنعه .. ؟

قال الداعية : لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أشد الناس عذابا المصورون » ؟

قال العالم : المصورون ــ هنا يا أخى ــ تعنى : صانعو التماثيل للعبادة أما التقاط الملامح فى شريط لأغراض معاصرة فلا علاقة له بالوثنية ...

ورد الداعية المتزمت : هذا كلام مرفوض ، وكذلك محاضرتك مرفوضة ، لأنك تبيح التصوير ..

صورة أخرى ..

وفى حوار دار بين شاب متعصب ــ مع العالم نفسه ــ

قال الشاب : أنا لا ألتحق بالجيش ..

وقال العالم : لماذا ؟

ورد الشاب : لأنهم يلتفون حول العلم ، ويحيونه !!

وقال العالم : ماذا فى هذا يا أخى ؟

رد الشاب : انها نوع من الوثنية المعاصرة ‥ والشرك بالله !!

واذا علمنا أن العالم المستنير الذى روى هذه الحكايات هو شيخ الدعاة المعاصرين الأستاذ محمد الغزالى ‥ لعلمنا الى اى درك يصل تفكير بعض من يتصدى للدعوة الاسلامية ويحبسون أنفسهم داخل اطار حركتها المعاصرة ‥

ولست أدرى من اى وكر جاء لنا هذا البعض ‥ ليعكر صفو الاسلام ‥ ويدمر حاضره ‥ ويصعق مستقبله ، ويفرخ لنا شبابا يحمل فكرا مشـوها ‥ يتمسك بالشـكل ويترك المضمون ‥ ويتعصب لطقوس ، وعبادات ، ويتجاهل فى علوم ، ومعاملات ‥‥ يثير الزوابع حول نقائض الوضوء ‥ ولا يعير اهتماما حول جلائل الأمور ‥

ان قواعد الصـلاة والصـوم والزكاة والحج ‥ هى فروض واجبة ومقدسة ‥ ولكن تعلمها لا يستغرق سوى دقائق وربما أيام ‥ ولكن فهم أسرار الذرة ‥ ومعرفة قوانين الفضاء والتدريب على اقتياد دبابة ، أو غواصة ، أو طائرة ‥ يحتاج الى سنوات وسنوات ‥

والنتيجة : أن بعض رواد الحركة المتزمتة يندسون علينا ‥ ليس فقط ليدمروا مسيرة التقدم ، ولكن ليدمروا مسيرة الحركة الاسـلامية ذاتها ، ويشوهوا وجهها ، وينادوا باسمها بعكس ما أمر به القرآن من دعـوة للنظـر فى الكون واكتشاف أسراره وتطويع قوانينه لخدمة البشر ‥

وكانت النتيجة ‥

افراز كتائب ضائعة من الشباب المشوه ‥ كان ضحية أفكار مشوهة والأخطر من هذا والأكثر مرارة ‥ أن يحدث هذا كله تحت

مظلة : الصحوة الاسلامية ، ومن داخل ركاب الحركة الاسلامية ذاتهـــا .

التقيت بواحد من هؤلاء الشباب أمام أحد المساجد ٠٠ يفترش الرصيف طوال الأسبوع يبيع بعض الكتب الدينيــة المتخلفة ٠٠ وحزما من السواك وبعض العطور البلدية ٠٠ وللوهلة الأولى شعرت أنه متعلم ٠٠ وفعلا صارحني بأنه خريج . فحسبت : أنه يحاول أن يكسب من عمل يده ، لأنه لا يجد عملا ، ولكنى فوجئت ، أنه من عائلة ثرية ، ثم كانت اللحظة المذهلة عندما سألته :

ـ فى أية كلية أنت ؟

ـ كلية الصيدلة ٠٠

وكدت أصرخ فيه ٠٠ وكيف تترك عملك فى الصيدليات ، وأول مرتب لها لا يقل عن ٢٠٠ جنيه ؟

ورد الشاب فى ثقة :

ـ حتى لا أكسب مالا حراما ، أو مشبوها ٠٠ !

قلت له : كيف تقبل هذا باسم الاسلام ، ونحن فى أمس الحاجة لمن يبحث فى معامل الأبحاث ليواجه عشرات الأمراض التى يموت منها المسلمون كل يوم ٠٠ ؟

ورد على ـ فى اصرار ـ انه : لا يقبل أن يعمل فى مؤسسة يقبض منها مرتبا فيه شبهة أو حرام ٠٠

بهذا السلوك الانعزالى ٠٠ وهــذا التفكير الســلبى يريدون مواجهة كل مؤامرت العالم على الاسلام ٠٠ وهم لا يدرون أنهم : بهذه الصورة البائسة ـ يقدمون لنا أشكالا منفرة متخلفة ٠٠ تؤكد على : ما يشيعه أعداء الاســـلام فى الداخل والخارج بأن الحركة الاسلامية تريد اعادة عقارب الساعة الى الوراء ٠٠

وحتى اذا رأوا التحرك الايجابى ٠٠ اتهموا حكوماتهم الاسلامية بالكفر ونظمـوا الكتائب لفرض رأيهم بالرصـاص لا بالحوار ٠٠ وهكذا يحققون لأعداء العالم الاسلامى قمة أهدافهم ٠٠ فى أن يتآكل العالم الاسلامى بسواعد أبنائه ٠٠ فتصبح الحروب المدمرة ٠٠ هى صيغة العلاقات بين حكوماته ٠٠ ويصبح الصراع الدموى هو صيغة العلاقات بين هذه الحكومات وشعوبها ٠٠

أيهـــا الســـادة ٠٠

لابد من نظرة موضوعية ذكية تستوعب اللحظة المعاصرة التى نعيشها ٠٠

ان العالم الاسلامى ما زال يترنح من آثار حقبة استعمارية شرسة ٠٠ لم يرحل فيها الاستعمار ٠٠ الا بعد أن تأكد من تمزيق وحدة هذا العالم ٠٠ من خلال دعاوى القومية والوطنية التى أقامت الحدود والسدود بين أبناء الوطن الاسلامى الواحد ٠٠ ولم يرحل عن وطننا الا بعد أن ترك الاشتراكية ، والرأسمالية كنظامين يربطان حكومات العالم الاسلامى بكتلة الشرق ، والغرب ٠٠ وبعـد انهيار النظام الاشـتراكى ٠٠ ما زالت الكتلة العـربية مصرة على فرض هيمنتها واذلالها العالم الاسـلامى ٠٠ من اغراقه بالديون ٠٠ وتعريته من كل سلاح ٠

والاسلام : ـ يا سادة ـ ليس ضد القومية ، أو الوطنية الا أن يكون بديلا عن الوحدة الاسلامية ٠٠ وليس ضد الاشتراكية ، أو الرأسمالية ٠٠ الا اذا أصبحت بديلا عن النظام الاقتصادى اسلامى ٠٠ الذى تحوى نظريته أفضل ما فى الاشتراكية ، والرأسمالية ٠٠ من عدالة البشر ٠٠ كما ذكرنا آنفا ٠

اذن فالعالم الاسـلامى كله حكومات ، وشعوب ٠٠ أصبح ضحية هذه المؤامرة التى أحكمت خيوطها العنكبوتية فى أحشائه لعدة قرون ٠٠ والحركة المتطرفة ترتكب أكبر حماقة فى تاريخها ٠٠

عندما تتصور أن العودة لخطيرة الاسلام ولشريعة الاسلام لابد أن تكون عودة فورية بالقوة والأسلوب الدموى وبالصدام المسلح مع حكوماتها ·· وهــذا لا يعنى سوى شيء واحد أنها تكمل مشوار المؤامرة العالمية على الاسلام ·· وأنها بهذا الصدام الساذج الأحمق ــ تعمل على تدمير وتآكل العالم الاسلامى من الداخل ··

يا سادة ·· لابد من وقفة موضوعية مع تاريخنا حتى نستوعب ما حدث ·· وحتى نكتشف الطريق ، ولابد من لحظة مكاشفة مع النفس ·· نعترف فيها بمدى سذاجة أسلوب تكفير الحكومات ·· ومــدى حمــاقة الطريق الدموى ·· فكيف نتصــادم مع حكومات اسلامية لم ترفض أن : تكون الشريعة مصدر قوانينها ولا أن يكون الاسلام دين دولتها ·· فهذا الأسلوب علاوة على غبائه ، فهو مناقض تماما لمنهج الدعوة الاسلامية الذى أوصى به القرآن الكريم والرسول·

ألم يكن الله قادرا على فرض دين موسى على فرعون ؟ حاشا لله ــ ولكن عندما أمــر موسى : بتوصيل رسالته اليه قال له ولأخيــه هارون :

(اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينــا لعله يذكر أو يخشى) ··

ونفس الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم :

(فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر) (١) ·

اذن فمهمة الرسل والدعاة ·· هى الدعوة والتذكير ·· وليس فرض الرأى بالقوة ·· والعقاب فهو من اختصاص الله :

(ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم) ··

---

(١) سورة الغاشية : آية ٢٢ ، ٢٤ ·

هذا هو نهج الدعوة ٠٠ لأن القرآن يقول :

(ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ٠٠) (٢) ٠

وهـذه طبيعـة الحياة كما أرادها الله ٠٠ صراع بين الحق والباطل ٠٠ حتى لا تكون الحياة على هذه الأرض كسولة خاملة هالكة :

(ولولا دفـع الله النـاس بعضهم ببعض لفسـدت الأرض) (٣) ٠

فالأصل فى الحوار مع البشر هى الدعوة ٠٠ كما أن الأصل فى الحياة على الأرض هو الصراع أما الحساب والعقاب فهو من اختصاص الحق تبارك وتعالى ٠٠ والمبدأ العام :

(لكم دينكم ولى دين) ٠٠

وأنا لا أسوق هذه الشواهد ٠٠ كدعوة لاجهاض الدعوة الى النظام الاسلامى ٠٠

فالرسول يقول :

« لأن يهدى الله بك رجلا خير من الدنيا وما فيها » ٠٠

ويقول :

« خير جهاد كلمة حق عند امام جائر » ٠٠

ولكن لتصحيح أسلوب الدعوة لهذا النظام فالرسول قال : (كلمة) حق وليس (رصاصة) حق ٠٠

---

(٢) سورة يونس : آية ٩٩ ٠

(٣) سورة البقرة : ٢٥١ ٠

السؤال الآن لقادة الحركة الاسلامية وخاصة المتطرف منها ٠٠ هل فى أسلوبكم كلمة حق ٠٠ وهل هذه الكلمة مقرونة بأسلوب المنهج العلمى الاسـلامى ٠٠ ومتسمة بالقدوة التى تجذب جموع المسلمين ٠٠ وتثير حماس ، وتشجيع حكومات المسلمين ٠

صحيح أن الشعوب وحكومات العالم الاسلامى الآن أحوالهم لا تسر فهذه الشعوب تعيش بلا استثناء فى نطاق العـالم الثالث المتخلف ، وحكوماتهم بلا استثناء غارقة فى صراعات وحروب مع جيرانها كما حدث بين العراق ، والكويت ان كل دولة اسلامية ترفع علما مختلفـا وتتعصب لقومية مختلفة وتنحاز لنظـام اقتصـادى مختلف ٠

ولكن ما هى الحلول التى تقدمهـا الحركة الاسـلامية لهذه الحكومات ؟ ما النمـوذج القـدوة الذى تتقـدم به هذه الحركة للشعوب ٠٠ ؟

هل الحل فى الصراع والصدام ٠٠ مع هذه الحكومات ؟ أم الحوار والاقناع بجدوى الوحـدة مع العالم الاسـلامى ٠٠ واعداد النظام الاقتصادى الاسلامى المعاصر البديل للنظم الوافدة التى تأخذ بها هذه الحكومات ٠٠ ؟

وهل الحل فى تقديم هذا النموذج المترهل للشعوب الاسلامية المتمثل فى اطالة اللحى والانعزال فى المساجد ٠٠ والتوسع فى الجدل حول فقه العبادات والتمسك بالفروع والتشرذم حول اجتهادات بشرية سلفية ٠٠ انتهى زمانها ٠٠ ؟

ماذا لو فكرت الحركة الاسلامية بطريقة مختلفة ٠٠ ؟ ماذا لو بدأنا بمحاولات بسيطة ؟ ماذا لو أمرت ـ تابعيها ـ مثلا ـ أن تنطلق من مشاكل الشارع ؟ وتضرب المثل والقدوة فى الأحياء بالنزول الى الشوارع وتنظيفها من الروائح النتنة حول المساجد بدلا من الاعتكاف بعد الصلاة داخل المساجد فيما لا يفيد ؟

ماذا لو أمرت كل خريجيها العاطلين ٠٠ فى التقدم للحكومة ٠٠ للاشتراك فى عملية غزو الصحراء وتحمل أجور رمزية فى البداية كنوع من الجهـاد العظيم للتحرر من عبـودية استيراد غذائنا من الأجـانب ؟

ماذا لو أمرت مجاميعها - من الأساتذة والطلبة - فى كليات الحقوق ٠٠ فى اعداد التشريعات الاسلامية المعاصرة ، لتكون جاهزة عندما تقتنع الحكومة بعظمة هذه التشريعات وعدالتها ؟

ماذا لو كلفت جماعات فى كليات الاقتصاد والتجارة فى : ايجاد الصيغة المعاصرة لنظام اقتصادى معاصر يستلهم جذوره من الفكر الاسلامى ٠٠ ولا يتجاهل متغيرات الحاضر ٠٠ ؟

ماذا وماذا وماذا ٠٠ هذه مجرد (أمثلة) فقط لأسلوب عمل ذكى ٠٠ غفلت عنه الحركة الاسـلامية ٠٠ واستبدلته بأساليب غبية ٠٠ نفرت منها الشعوب ٠٠ وأثارت عداء الحكومات ٠٠

والسؤال الآن : هل كان مثل هـذا الأسلوب سيغضب أى حكومة اسلامية ٠٠ أم كان سيصبح موضعا للحفاوة والترحيب ؟

وهل كان مثل هذا الأسلوب سيواجه بحوادث العنف والاعتقال أم أننـا اخترنا أسـاليب مستفزة هى التى أثارت عليكم حنـق الشعوب ، وعنف الحكومات ٠٠ ؟

ان الحركة الاسلامية فى حاجة الى مواجهة مع النفس بقدر ما هى فى حاجة الى قدر من الشـجاعة لتعتـرف : أن منهجهـا وأسلوبها ٠٠ كانا عبئا عليها ٠٠ بقدر ما كانا عبئا على الحكومات والشعوب ٠٠

وليس أمام هذه الحركة سوى أن تعدل من منهج تفكيرها ، واسلوب حركتها بحيث يتصـالح هذا المنهج مع المنهج الاسـلامى

ذاته ·· ويتوافق مع أسلوبها مستفيدا من تجاربه المأساوية السابقة ، ومستوعبا للمأزق التاريخى الذى يمر به العالم الاسلامى ؟

هذا المأزق الذى جعل من حكومات ، وشعوب هذا العالم ضحية لمؤامرة كبرى !

والنتيجة أنه رغم توهج الحركة الاسلامية منذ سنوات فما زالت كل دول العالم الاسلامى تقع فى نطاق العالم المتخلف ·· ورغم وجود دول بوذية وثنية بدأت تعرف طريقها الى التقدم ، وهذا موضوع يحتاج لدراسة مستقلة ·



ضغوط سنوات القهر

فى تعليق على ما كتبته تحت عنوان « وقفة صريحة مع الحركة الاسلامية » بعث لى الدكتور عصام العريان عضو مجلس الشعب كلمات تحمل فى طياتها القليل من الغضب والكثير من العتاب ·· معربا عن رفضه ـ لما تصوره ـ من اتهام المقال للحركة الاسلامية « بالانعزالية والسلبية » ·· ومشيرا الى أن الحركة الاسلامية الصحيحة لم تنعزل الا تحت ضغوط سنوات القهر ، والاعتقالات ·· وأنه ما ان أشرق فجر الديمقراطية على وجه مصر ·· حتى عادت الى نشاطها ـ فى ظلال من الشرعية ـ وأصبح لها ٣٦ نائبا فى مجلس الشعب يرفعون الصوت الاسلامى المعتدل والمستنير تحت قبة البرلمان ، مضافا الى نشاطها الايجابى فى النقابات ، وأدى الى نجاحها عشر اتحادات طلابية من ١٣ جامعة بدون مشاكل ·· وبصلات مثالية مع ادارات هذه الجامعات ··

وأما الفريق الشاذ ـ يقصد الجماعات المتطرفة ـ الذى ينطبق عليه حكمكم فلا يمكن أن يكون مثالا يضرب عند الاشارة للحركة الاسلامية ··

و ·· يبدو أن الأخ عصام عضو مجلس الشعب المحترم ·· قد فهم من كلامى عن الحركة الاسلامية أننى أعنى الحركة الاسلامية (فى مصر فقط) ·· مما أوقعه فى كثير من اللبس ·· فطالما ميزت فى معظم كتاباتى عن الحركة الاسلامية فى مصر ·· بين تيار متطرف متزمت ·· وتيار معتدل مستنير ·· والواقع أننى كنت أقصد ـ فى هذا المقال ـ الحركة الاسلامية فى العالم كله ·· منذ أيام الأفغانى وحتى الآن ·· مرورا بالجهود الفقهية للامام محمد

عبده ورشيد رضا والكواكبى ·· مضافا اليها الجهود الحركية : للامام حسن البنا فى مصر وعلى جناح فى باكستان ·· الى جانب الحركات المعاصرة في تونس والجزائر وسوريا وقلت ان هذه الحركة مطالبة بوقفة تأمل وصدق مع النفس ·· فى محاولة شجاعة ·· لتشخيص مسارها ·· وتجاربها ·· وللنتائج التى توصلت اليها حتى الآن ··

وأضيف اليوم : ان على هذه الحركة ـ فى هذه الوقفة ـ أن تضع أمامها الحقائق التراجيدية الآتية··دون غضب ، أو تعصب :

أولا : أن الحركة الاسلامية العالمية ـ رغم جهودها وتضحياتها وأفواج شهدائها ـ لم تستطع ـ حتى الآن ـ أن تقيم « نموذجها الاسلامى » المقنع ـ حتى للمسلمين أنفسهم ـ فى دولة واحدة ·· ويكفى تجربة باكستان التى انفصلت عن الهند مدفوعة بأشواق جارفة لاقامة كيان اسلامى ·· وتأرجحت تجاربها حتى الآن بين حكومات اسلامية وعلمانية ·· ولم تستطع فلول الفصائل الاسلامية ـ المتحالفة هناك حتى الآن ـ أن تقنع الجماهير بانتخابها ، وتكوين حكومة (معاصرة) تمثلها ، وتسلم مقاليد الأمور لها (١) ·

ثانيا : صحيح أن الحركة الاسلامية فى العالم ·· تجابه بمؤامرات داخلية ضارية من حكوماتها الى جانب مؤامرات أكثر ضراوة من الكتلتين الغربية والشرقية ·· الا أن هذا لا يعد مبررا كافيا لعدم استطاعة هذه الحركة من اقامة نظامها الاسلامى فى « دولة واحدة » ·· فى عالمنا المعاصر · واذا سلمنا أن هذه المؤامرات يمكن أن تكون عائقا لاقامة دولة اسلامية ·· فكيف نبرر فشل هذه الحركة الآن فى اعداد برنامج معاصر متكامل ، يتبناه حزب قوى تلتف حوله جماهير المسلمين··يمكنه عن طريق القنوات الديمقراطية

---

(١) راجع نتائج الانتخابات الباكستانية الأخيرة ·

اقامة هذه الدولة ·· التى يمكن أن تصبح نموذجا معاصرا (مقبولا) لغيرها من الدول ·· (تذكر تجربتى : خومينى ونميرى) ··

ثالثا : فى الوقت الذى تقاعست فيه الحركة الاسلامية عن تقديم هذا النموذج الاسلامى المعاصر بكل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والذى يستقى مبادئه من قيم الاسلام الرفيعة ، ويتواءم مع متطلبات روح العصر ·· نرى : دولا لا تدين بهذا الاسلام العظيم ·· ولا تعرف قيمه السامية ·· ولا تملك تراثه التشريعى العريق تقدم نماذج معاصرة مبهرة دون أن تتخلى عن تراثها وقيمها وعقائدها ·· مثل اليابان وكوريا ·· رغم أن هذ االتراث لا يهب أبناءه سوى عقائد (وثنية وبوذية وكونفوشيوسية) ·· لا ترقى اطلاقا الى واحد على مائة مما ينطوى عليه الاسلام من قيم ونظم وتشريعات ·· لا ترفض التقدم ·· ولا تحجر على فكر ، وتدعو دائما ·· الى الاجتهاد ·· والاستعانة بكل جهد علمى وتكنولوجى ·· يدفع بالمسلمين ·· الى قمم التحضر ··

هذا ما قصدت من نقدى للحركة الاسلامية ·· وما كتبته لا يعبر الا عن بعض الملاحظات الأولية ·· ولكننى أشعر ــ بكل أسف وألم أن هناك (شيئا ما) خطأ فى مسيرة هذه الحركة ·· ربما يكون هذا الشىء فى قادتها ·· فى منهجها ·· فى فكرها ·· ولكن قطعا هناك شىء ما يحتاج الى وقفة ·· الى اعادة نظر ·· على الأقل بعد ذلك المشوار المضنى الذى يقارب الآن قرنا كاملا ·· بل ان شئنا الدقة ·· قلنا لعدة قرون ·· منذ أحداث الفتنة الكبرى بين : على رضى الله عنه ·· ومعاوية غفر الله له ··

هناك (شىء ما) ·· يجب أن نقف عنده ونتأمله ·· وندرسه دون أن نترك آلاف الأسئلة الحائرة عالقة فى الأذهان ··

لماذا أخذت الحركة الاسلامية بعد ثلاثين سنة فقط من وفاة

الرسول صلى الله عليه وسلم ·· تتشتت ، وتتقدم الى الخلف ·· بـــل :

ولماذا استمرت فى مسيرة التأخر ـ عدا بعض سنوات اليقظة ـ حتى انه لم تعد هناك دولة اسلامية ـ واحدة ـ خارج اطار العالم المتخلف الآن ·· ؟

ثم هل كان مستوى أداء هذه الحركة يرقى الى مستوى عظمة هذا الاسلام العظيم ·· وقيمه الرفيعة ·· وتشريعاته العبقرية !

ثم لماذا لم تتوصل الحركة المعاصرة بعد الى المنهج والأسلوب·· اللذين تستطيع بهما أن تنقذ أمة المسلمين من كل ما مر بهـا من سنوات : القهر ، والذل ، والتخلف ·· ولماذا لم تستطع أن تأخذ بيد هذه الأمة المنكوبة ، لتكون « خير أمة أخرجت للناس » فاصبحت حدودها أرضا لكل محتل ·· و « ملطشة » لكل غاز ·· وغنيمة لكل طامع وكان هـذا هو الجـزاء الحق لأمة تخلت عن مبـادىء اسلامها ، فقانون الاسلام الصارم يؤكد : أن الله لا يسـاعد أمة لا تريد أن تساعد نفسها ، ورسول هذا الدين العظيم كان يؤكد دائما أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وأن الله لا يساعد من تقاعس عن مساعدة نفسه :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم) ··

وأن التغيير فى مذهب النظام الاسلامى ·· لا يأتى من خلال الدروشة ، والكسل ولا حتى « العبادة » فقط ، ولكن بالعلم الذى يسبق العمل : مجلس علم خير عند الله من عبادة ألف عام ·

وفى النهاية فقانون الاسلام العام يصفعنا جميعا بهذه القاعدة الذهبية :

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ··

وإذا افترض أننا استطعنا أن نغير من أنفسنا ، ونغير حال أمتنا ·· فماذا سيكون موقفنا مع العالم الخارجي ـ الآن ـ ونحن في هذه الحالة من الضعف ، والتخلف ؟!

الحركة الاسلامية ·· والعالم الخارجي

·· وهنا يأتي الكلام عن موقف الحركة الاسلامية في مصر من العالم الخارجي ·· وهو موقف يحتاج الى مراجعة ·· سـواء بالنسبة للحركات الاسلامية في العالمين : العربي ، والاسلامي ·· أو الموقف من العالم الغربي ··

وبالنسبة للعالمين : العربي ، والاسلامي ·· فلابد للحركة الاسلامية في مصر أن تعي ـ أنه وان كانت الرسالة المحمدية قد نزلت خارج مصر ـ فانه لا يوجد (فهم) وتفسير قريب لجوهر هذه الرسالة الا في مصر ·· فالفهم الاسلامي في مصر ·· هو الفهم الوسط الذي جاء به الاسلام ·· وهو فهم لم ينحرف فيه (تمذهب) شيعي كما حدث في ايران ·· ولم تطوعه (ظروف سياسية خاصة ·· كما حدث في الهند على يد المودودي ·· أو شطحات شخصية في التطبيق كما حدث في السودان ·· على يد نميري ··

ولكن الحركة الاسلامية أخطأت أكثر من مرة··عندما اندفعت في تأييد أي فكر ، أو تطبيق للحركة الاسلامية في الخارج ·· دون أن تدرس (المنطلقات) جيدا ··

وضح هذا الاندفاع عندما تأثر بعض مفكري حركتنا ـ مثل سيد قطب ـ باتجاهات المفكر الهندي (أبو الأعلى المودودي) ·· الذي تأثرت أفكاره بالوجود الانجليزي ·· ومشاعر أقلية مسلمة تعيش في بحر حكم بوذي غير اسلامي ·· مما دفعه الى نظريات

الحاكمية ٠٠ وتكفير المجتمع التى انتقلت الى فكر سيد قطب ثم الى كتب شكرى مصطفى ، وعبد السلام محمد ٠٠

وتأثرت ثانيـــا ٠٠ عنـدما اندفعت بعض فصـائل الحركة الاسلامية عندنا فى تأييد الثورة الخومينية فى ايران ٠٠ لمجرد أنها رفعت شعار الدولة الاسلامية مع أنها ثورة خومينية مذهبية شيعية خارجة على جوهر الفكر الاســلامى السنى : الذى يدين له غالبية المسلمين فى العالم الاسلامى ٠٠

وتأثرت ثالثا ٠٠ عندما انخدعت فى الحركة الاسلامية فى مصر ٠٠ وأيدت التجربة النميرية الاسلامية فى السودان ٠٠ مع أنها تجربة متمردة على منهج الطتبيق الاسلامى ٠٠ فى ضرورة تنفيـذ العدالة الاجتماعية أولا وقبل تطبيق الحدود ، والقوانين العقابية ٠٠

ونفس الرواية تكررت مع بعض الحـركات الاســـلامية فى الجزائر ، أو الأردن ، أو باكستان ٠٠

اذن ٠٠ ٠٠

فلابد للحركة الاســلامية ــ قبل أن تندفع ــ فى تأييد هذه الحركات الاســلامية ــ هنا أو هناك ــ أن تتخـذ جانب (التمهل والدراسة والحذر قبل اعلان تأييدها ٠٠ حتى لا تحسب فيما بعد أخطاء هذه التجارب الاسلامية على الحركة الاسلامية فى مصر ٠٠ وهى حركة قائدة ورائدة ٠٠ سـوف يترتب على مسيرتها مصـير الحركة الاسلامية فى العالم كله ٠٠ فهذا هو قدر مصر ٠٠ بموقعها، وأزهرها ، وتاريخها ٠٠ فعندما تدق الطبول هنا ٠٠ لابد أن يتردد الصدى على جميع أنحاء العالم سواء كان هذا الصدى سياسيا أو دينيا ٠٠ لهذا لابد أن يكون الصدى القادم من مصر ٠٠ انعكاسا لدقات على طبول حقيقية وثورة ناضجة ٠٠ وغير مزيفة ٠٠

أما بالنسبة للعالم غير الاسلامى ·· فالمسألة أكثر خطورة ، وعمقا ، وأهمية ، فبعض الفصائل ـ هنا ـ تعلن : الحرب الكلامية الشعواء على العالم الغربى ، وتحمل بين كلماتها تهديدا لهذا العالم « الكافر » ·· بمجرد توحيد المسلمين !!

هكذا ·· ببساطة ، وحتى دون أن تملك فى يدها سوى عصا هزيلة ·· أمام كل دبابات ، وصواريخ ، وطائرات ، وغواصات هذا العالم « الكافر » ·· وهى مفارقة تثير من الضحك قدر ما تثير من الرثاء ··

وقبل أن أسترسل ·· فأنا لا أثبط أحدا ·· ولكننى أربأ بالحركة الاسلامية أن تمضى خطواتها فى طريق مرصوف بالخداع ·· ملىء بالألغام ·· خاصة وأن هذا الطريق لن يؤدى الا الى تحريك كوامن العداء القديم فى العالم الغربى ·· وقد يعجل بحرب صليبية أخرى لا نملك كل أوراق أسلحتها ، كما كنا نملكها أيام صلاح الدين ··

المفروض : أن الحركة الاسلامية تكون أكثر ذكاء وواقعية ·· وألا نضيف لها أعداء فى الخارج علاوة على أعدائها فى الداخل ·· وأن تتعامل مع هذا الخارج لا من خلال المفاهيم المتزمتة ، التى لا ترى فى هذا الكيان الخارجى سوى : الكفر ، والفسق ، والانحلال ·· ولكن من خلال (تراجيدية) الفجوة الحضارية التى تفصلنا عنهم فنحاول سدها ·· فالاسلام لم يأمرنا بالانفتاح على ما فى العالم من (فجور وفسق) ولكن على ما فيه من (علم وتكنولوجيا وأسرار التقدم : السياسى ، والاقتصادى ، والحربى) ··

المفروض : ـ اذا كان لدينا ذرة ذكاء ـ ألا تتجه الحركات الاسلامية الى ما يثير الشك والتخويف من الصحوة الاسلامية وأن نؤكد لهذا العالم الغربى : أن الفلسفة العامة للاسلام بالنسبة للعالم

الخارجي ليست فلسفة عدوانية ·· بل هي فلسفة دفاعية لخصتها الآية الكريمة التي تقول :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) ··

(البقرة : ١٩٠)

أقول : اننا لا نملك في الوقت الحاضر ـ سوى انتهاج سياسة الهدوء والطمأنة ـ ولا أقول ـ الخضوع للعالم الغربي ·· رغم أن الواقع يقول : انهم يرفضون الوجود الاسلامي على المستوى العقدي أو المستوى الحركي ·· كمشروع حضاري اسلامي ··

ففي الوقت الذي يعترف فيه الاسلام بالمسيحية ويؤكد امكانية التعايش مع العالم المسيحي ·· يرفض الفاتيكان الاعتراف بالاسلام ·· ويصر على استمرار حالة عدم الاعتراف بل ويتقارب مع اليهود ·· مما يؤدي الى وضع تصــادمي ·· وفي الوقت الذي يرى فيه المسلمون امكانية تعايش المشروع الحضاري الاسلامي ـ مع المشروع الغربي ·· من خلال سياسة التعاون وفلسفة التواصل الحضاري ·· يرى الغرب في المشروع الاسلامي نوعا من الخروج على «هيمنته» وسيطرته التي تفرضها مصالحه الاقتصادية العليا ·· ورغم (كل) هذا فان على الحركة الاسلامية أن تتجاهل هذه الروح العدائية ·· ولا تتيح للغرب أن يسارع بالصدام معها ·· في الوقت والمكان الذي يناسبه ·· بل عليها أن تصبر ، حتى تملك من القوة والحضارة ·· ما يمكنها من الحوار أو التصدي من موقف الند للند ·· ويوم تملك هذه القوة المتكافئة ·· فان احتمالات الصــدام ســتقل ·· واحتمالات سحقنا وازالتنا ستنعدم ··

ولا أجد خير ما أقدمه من فهم لهذه الحقيقة سوى تلك الاجابة الذكية للدكتور عباس مدني زعيم الجبهة الاسلامية للانقاذ ·· عندما

مسئل عن مخاوف الغرب من امتداد الصحوة الاسلامية ، وازدياد نفوذها فى شمال افريقيا ، ومعظم بلاد العالم الاسلامى حيث قال :

« نحن لا نطرح أنفسنا كقادة لافريقيا أو المغرب العربى ، نحن نفضل أن نسبح فى حوضنـا الصغير ولا نرمى بأنفسنا فى المحيط ·· فنحن نعلم جيدا الفرق بين السباحة فى حوض السباحة ·· والسباحة فى محيط ـ السباحة فى حوض لا تتطلب أكثر من سواعدنا ·· أما السباحة فى المحيط فتحتاج لغواصة ·· لا نمتلكها ولا نمتلك أسرار صناعتها بعد ··

واكتفى ··



الفصل الثالث

أسئلة فى الشارع الاسلامى السياسى

لماذا تاخر المسلمون ·· وتقدم الأوربيون ؟

سؤال يتردد فى همس أحيانا ·· وفى صخب أحيانا أخرى فى الشارع الاسلامى ، وهذه محاولة اجتهادية للاجابة عليه ··

الواقع : أنه بنظرة شاملة متأملة ·· للقفزة الحضارية الشاملة التى انطلق بها الأوربيون ·· الى أعظم الآفاق ·· نكتشف: أنها تركزت على ثلاث قيم :

قيمة العلم ··

وقيمة الصدق ··

وقيمة اتقان العمل ··

فهم ينطلقون فى كل المجالات من خلال النظرة العلمية ··

وهم صادقون فى كل معاملاتهم ·· والكذب احدى الرذائل الكبرى فى مجتمعهم ، وهم اذا قاموا بعمل فى أى مجال صناعى ، أو زراعى ·· راعوا الدقة والاتقان ·· وابتعدوا عن : الفهلوة ، أو الخداع ، أو الغش ·

والغريب أن هذه القيم الثلاث ·· أنها من صميم تراثنا الاسلامى ·· فقد تعرفنا على هذه القيم منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة بينما هم لم يتعرفوا عليها الا منذ ما يقرب من ٢٠٠ عام فقط ·· وجسدوها فى حياتهم العملية ·· وأصبحت جزءا من تراثهم : التكنولوجى ·· والاجتماعى ، والسيكولوجى ، ولكن الفرق أنهم تمسكوا بها فى اصرار ، ولكننا أهدرناها ربما من خلال اصرار أكبر ··

فقيمة العلم ·· احدى قيم أسلافنا الكبرى ·· نقرأ عنها فى أكثر من آية قرآنية :

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ··

ونحفظها فى أكثر من حديث :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة »

« مداد العلماء خير من دماء الشهداء »

« ومن سئل عن علم فكتمه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار »

وقيمة الصدق نراها فى عشرات الآيات ، والأحاديث وكلنا يعرف : قصة ذلك الأعرابى الذى جاء يطلب نصيحة رسول الله فقال له لا تكذب ، فلما عاد اليه يطلب نصيحة أخرى كرر عليه لا تكذب ، وعندما عاد فى المرة الثالثة لم يزد عن قول : لا تكذب ·· تأكيدا للقيمة الكبرى التى يعلقها الاسلام على الصدق ·· فالرجل الصادق لا يسرق ·· ولا يزنى ·· ولا يغش ·· ولا يؤذى المجتمع، والا فماذا سيقول للقاضى ·· عندما يسأله عن حقيقة علاقته بهذه الجرائم ، وقد التزم الصدق ؟

وقيمة اتقان العمل ·· قيمة اسلامية كبرى ·· يحض عليها النظام الاسلامى من خلال عشرات الآيات والأحاديث أيضا ·· فالعمل ·· فى الاسلام هو البرهان ليس فقط على المواطنة الصالحة، وانما على الايمان ·· بل أن الرسول يعرف الايمان بقوله :

« الايمان : هو ما وقر فى القلب ، وصدقه العمل »

أى : لا يكفى أن تقول : أنا مسلم ، أو أنا مؤمن ·· ثم تصلى، وترتكب جميع الجرائم فى حق مجتمعك··فالله ينتظر دائما (اثبات)

صدق تدينك ، وايمانك بالعمل ·· وفى هـذا يقول الحق تبارك وتعـالى :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ورسوله ، والمؤمنون، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) ··

ولم يقل : بما كنتم تؤمنون فاعلان الايمان لا يكفى ·· ولكن لابد أن (يبرهن) عليه العمل ·· و ·· ليس أى عمل ·· ولكنه العمل الصالح للفرد ، والمجتمع ، والوطن ، والعمل الذى يحبه الله هو العمل المتقن ·· كما أكد الرسول فى حديثه الشريف :

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ··

اذن فالقيم الثـلاث : التى قامت عليهـا عبقرية الحضـارة الأوزبية هى (جزء يسير) من تلال القيم العظيمة التى أهدانا اياها الاسلام ، ولكننا لم نهتد بها ·

هم أخذوا ثلاث قيم فقط ·· جسدوها فى حياتهم ، وأصبحوا يتربعون على قمة الأمم ·· أما نحن فقد اكتفينا : أن نستمع الى (تلال) من القيم العظيمة كل صلاة جمعة ·· وكل حفل اسلامى·· ثم نخرج من هذه (الموالد) لنمارس كل رذائل البشر ·· من كذب ، وخداع ، وتسيب ، وترويع ، وبلطجة ·· وفهلوة ونفاق·· فأصبحنا فى ذيل الأمم ·· ولعلنا لا ندهش ·· بعد ذلك ·· كيف نصبح مسلمين ؟ ثم لا نكون خير أمة أخرجت للناس ·· ؟

يا سادة : لن نكون خير أمة الا اذا أصبح كل منا اسـلاما يمشى على الأرض يجسد كل القيم الرفيعة التى تفضل بها علينا الاسلام ·· لا أن يصبح كل منا مجرد (مسلم) فى شهادة الميلاد·· هذا هو قانون الاسلام ··

لقد جسد الأوربيون ثلاث قيم اسـلامية فقط ·· فسادوا العالم ·· بعلمهم ·· وصدقهم ·· واتقانهم لعملهم ··

وذلك هو مغزى وعد (الحق) سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة العظيمة التى نفهمها :

(انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) ··

و ·· (من) هنا (مطلقة) لا تقتصر على مسلم ، أو مؤمن ·· وانما (لمن) يحسن عمله من البشر ·· بغض النظر عن ملته ، أو ديانته ·· وهذا هو سر تقدم الأوربيون رغم عدم اسلامهم وهى الظـاهرة التى تؤرق الذين أصـبحوا مسلمين (بالوراثة) ·· ويعتقدون : أنهم لمجرد أنهم مسلمون ·· فان السماء لابد أن تمطر عليهم ذهبا ، وفضة ··

فهل نفيق من غفوة يائسة ·· شبعنا فيها (تشخيرا) ··· ؟

* يحضرنى فى هـذا المجال مشروع ايجابى ·· فى احدى الدول الاسلامية ·· فى سلطنة عمان الشقيقة ·· للاكتفاء الذاتى فى السلع : الزراعية ، والسمكية ، والرعى ·· فقد أعلنوا ـ تحسبا لانتهاء حقبة البترول : أنه عام الزراعة ·· وهو العام قبل الماضى ··

وفى نهاية العام ·· اكتشف السلطان قابوس ·· أن هذا العام لم يحقق شيئا فقرر مده لعام آخر ··من خلال خطط واقعية·· بمنع الهجـرة من الزراعـة الى المهن الأخرى ·· وتحريم البناء فى المنـاطق الزراعية والمراعى وبناء قرى نموذجية للصيادين تربطهم ـ من خلال دخل حقيقى ـ بالصيد والبحر ·· حتى لا يندفع الجميع الى المجال البترولى ·

لم يخجل السلطان ·· من الاعلان فشل العام الأول ، واعلان عن عام آخر ، بل لقد أعلن عن : خطة محددة تعتمد فيها السلطنة ـ نفسها ـ فى هذه المجالات الثلاث خلال عشر سنين ·

هذا الحاكم يعمل ·· لم يكتف برفع اللافتات ، والشعارات ·· ولم يعلن عن أسبوع لكذا ·· أو عام لكذا لمجرد تعليق اللافتات ·· بل كان صادقا مع نفسه ، مع شعبه ، ولم يخجل أن يقول : أن ما توقعناه في عام ·· يحتاج لعشر سنوات ·· ثم وضع الخطط اللازمة لتنفيذ ذلك ·· ولهذا لم يكن غريبا أن ينجح الرجل فى نقل بلده من أوائل القرون الوسطى ·· الى أواخر القرن العشرين ··

ويحضرنى أيضا ·· تلك الدفعة الهائلة التى يقوم بها رئيس الدولة الى مواقع الانتاج العديدة ·· ليطمئن على مسيرة خطط التنمية ولكن هذه الروح ، التى تتسم بالصدق والحماس والاخلاص ·· يشدها الى الوراء قلة ما زالت (أسيرة) عصور (الفهلوة والخداع) ·· وتمام يافندم ·· وشلة أخرى من الكبار فى قيادات الانتاج ورؤوساء مجالس الادارات ·· تستغل مواقعهم فى نهب ثروات مصر لجيوبها الخاصة ·· لحساباتهم الخاصة فى البنوك الآجنبية ·· ولتذهب مصلحة البلد الى الجحيم ·· وآه لو استمعنا مرة الى تحذير الرسول :

« انما أهلك الذين من قبلكم ·· أنهم كانوا : اذا سرق فيهم (الشريف) (*) تركوه ·· واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد » ··

وآه ·· لو أقمنا مرة واحدة هذا الحد على هؤلاء الكبار ·· وفى ميدان عام ··

موقف الاسلام من القطاع العام

ومن الأسئلة المثارة فى الساحة : ما موقف الاسلام من القطاع العام والقطاع الخاص ·· ؟ ــ وأبدأ الاجابة ــ لتقريب الصورة ــ بهذه القصة :

تورطت ذات يوم في شراء سمك مقلى من أحد أكشاك القطاع العام في مصر الجديدة ٠٠ فكان مصيره الى صفيحة الزبالة ٠٠ حيث تحول الى وجبة شهية للقطط ٠٠ ــ ويومها ــ لم العن الرجل الذى باعنى ٠٠ هذا السمك المتعفن ، ولكننى لعنت دراويش الماركسية في بلادنا الذين أرادوا تحويل كل نشاطنا الاقتصادية الى القطاع العـام ٠٠ رغم أن أنبياءهم في موسـكو قد كفروا ٠٠ بما كانوا يبشرون به ٠٠

فهناك نشاطات ٠٠ تحتاج الى توفير الشعور بالملكية الخاصة، والرغبة في المحافظة عليها ، وحمايتها من الخسارة كالمطاعم ، ومحلات بيع الملابس ، ومرافق السياحة ٠٠ وكل ما يتعلق بالبيع والشراء بشكل عام ٠٠

هذه الأنشطة تحتاج لأفراد يخشون (كساد السلعة ٠٠) ويسهرون عليهـا لبيعها لك في أنظف ، وأشيك صـورة خوفا من من منافسة الآخرين ٠٠

وهناك نشـاطات أخـرى ٠٠ متعلقة بسـلع اسـتراتيجية (كالبترول) في التجارة أو (القمح) في الزراعة ٠٠ (والمعادن) في الصناعة ٠٠ هذه يجب أن تكون ملكا للشعب ٠٠ الذى ينيب الدولة عنه في ادارتها لصالح الشعب ٠٠

وهذا هو ــ تماما ــ موقف الاسلام ٠٠ من هذه القضية ٠٠ فالأصل في الاقتصاد الاسلامى ٠٠ هو الحرية الاقتصادية (المقيدة) بالزكاة ، وذلك لضمان حرية حركة الانسان ، وعدم قتل الحوافز، وعدم التصدى لغريزة حب التملك ٠٠ سواء في المجال : الصناعى، أو الزراعى ، أو التجارى ، شرط ٠٠ أن تؤدى ضريبة هذا النشاط الحر (الذى أتاح لك قدرات ذهنية ، واجتماعية وهبها الله لك ٠٠ باخراج زكاة النشاط ٠٠ لمن حرموا ظروفك ، ومواهبك ، وكذلك الاقتصادية ، أو العلمية ٠٠

والزكاة ٠٠ غير متروكة ، لكي تتبرع بها على مزاجك الخاص ، وتتباهى بها على الفقراء ولكنه من حق للشعب ٠٠ تقوم الدولة بتحصيله وتوزيعه على الفئات المحرومة :

(الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل وللمحروم) ٠٠

وفى الوقت ذاته ـ فقد قرر الاسلام ضرورة ملكية الشعب لوسائل الانتاج الاستراتيجية الكبرى التى لا تحتمل عبث ، وأطماع بعض الأفراد ٠٠ والتى تسبب تركيز الثروات الطائلة فى يد قلة من الأثرياء على حساب الأغلبية الكادحة والمستضعفة وذلك من خلال هذا الحديث الشريف :

(كلكم شركاء فى ثلاثة : الكلأ ٠٠ والماء ٠٠ والنار) ٠

وتلك الآية الكريمة :

(كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ٠٠

أى : حتى لا يكون المال وثروة العباد متداولة ، مركزة فى يد الأغنياء دون بقية أفراد الشعب ٠٠ وبالطبع ٠٠

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حدد المواد الاستراتيجية فى عصره : (بالكلأ ، والماء والنار) نظرا لأن (الكلأ) كان يمثل مادة استراتيجية بالنسبة لمجتمع : كان يقوم اقتصاده على الرعى ٠٠ فانه حسب استخدام قاعدة (القياس) ٠٠ فالحكومة (المعاصرة) لها أن تحدد : المجالات والسلع الاستراتيجية التى ترى : ضرورة ملكية الشعب لها ، وادارتها لصالح الأغلبية كالبترول ، والمعادن ، ومرافق الخدمات الكبرى ٠٠ كالهرباء ، والماء ، ومد الطرق ، والكبارى ٠٠٠٠ الخ ٠ اذن : ـ

فالأصل الاسلامى : هو اتاحة الفرصة للقطاع الخاص ، ونشاطات الأفراد ٠٠ لتنشيط الحركة الاقتصادية ، وعدم قتل

الحوافز ، ولكن بشرط تأدية حق المجتمع من الزكاة الاجبارية ·· مع السماع للقطاع العام بالسيطرة على المجالات ·· الاستراتيجية لصالح الشعب ··

ولكن اذا حدث خلل فى التطبيق ·· وأصيب البعض (بتخمة) والبعض الآخر بجوع كأن يعتقد بعض الانفتاحيين : أن الحرية الاقتصادية التى يتيحها الاسلام لهم ·· هى حرية اقتصاد (السداح مداح) ·· بخوض نشاطات مشبوهة لا تقرها مبادىء للمجتمع والدين ·· لتضخيم ثرواتهم الحرام على حساب الشعب ·· فهناك من حق الحاكم أن يتدخل ·· ويوظف فوائض أموال الأغنياء حتى يعود التوازن الاقتصادى للمجتمع ··

وذلك بأمر القرآن : **(كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)** ·· ومن خلال قاعدة عمر بن الخطاب : (اذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد) ·· وقد فسر الفقيه المجدد (الشاطبى) هذه القاعدة بقوله : اذا خلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند الى مالا يكفيهم فللامام العادل أن يوقف على الأغنياء (ما يكفيهم) ·· الى أن يظهر بيت المال ـ أى : يعود التوازن لاقتصاد المجتمع ·· فالاسلام ، وان كان لا يحارب الأغنياء ·· ويكره سياسة (الافقار) : (لو كان الفقر رجلا لقتلته) ـ فانه يكره ·· بل ويحرم وجود (فوائض خيالية) تؤدى الى حالة المبالغة فى الترف والرفاهية ·· والتى يسعى اليها بعض الانفتاحيين ·

ويمكننا : أن نشهد فى هذا بمقولة عمر بن الخطاب : ـ

(لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ·· لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على الفقراء ··) ··

هذا هو موقف الاسلام من : قضية القطاع العام ، والقطاع الخاص ، وكذلك قضية الانفتاح ·· حيث تقف نظريته الاقتصادية

ـ فى الوسط ـ بين : غلاة اليمين وغلاة اليسار ، لتحقيق عدالة اجتماعية متوازنة ، ومزية متطورة ـ دائما ـ للدولة الاسلامية ٠٠

وبهذا يقترب المذهب الاقتصادى الاسلامى الذى يصر على : وجود القطاع العام ٠٠ بجوار القطاع الخاص ـ والذى يلتزم به النظام فى مصر ـ يقترب من التطبيق الاسلامى المستنير ٠٠ للنظرية الاقتصادية الاسلامية ٠٠ شرط : أن يكون لكل من : القطاع العام ، والخاص ساحته التى يمارس فيها نشاطه ٠٠

ملاحظة من نائب قبطى

ما دامت المادة الثانية من الدستور ٠٠ تقول : ان الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ٠٠ فمن حق كل المواطنين فى مصر ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أن يناقشوا موقف هذه الشريعة ٠٠ من القضايا العامة التى تمس الجميع ٠٠ ولذلك فقد سعدت كثيرا باستشهاد (نظمى بطرس) عضو مجلس الشورى ٠٠ بموقف الشريعة من اختيار رئيس الدولة ٠٠ بأنها تؤيد اختيار رجل واحد للاستفتاء العام ، كما حدث فى خلافة أبى بكر ٠٠

(فقط) أصحح له : بأن أبا بكر فى اجتماع (السقيفة الانتخابية) لم يكن المرشح الوحيد ٠٠ بل كان مرشح حزب المهاجرين وكان معه على بن أبى طالب عن حزب الهاشميين وسعد ابن عبادة عن حزب الأنصار (جناح الخزرج) وعثمان بن عفان عن حزب بنى أمية ٠٠ انتهت العملية بانتخاب أبى بكر ٠٠ الذى استطاع بعد خطبة انتخابية شهيرة الحصول على أغلبية أصوات : المهاجرين ، والأنصار ، ثم الهاشميين ، ثم الأمويين فى النهاية ٠٠

تناسلوا •• تكاثروا •• والمعنى الغائب

وهناك سـؤال تسمعه فى كل بلدة وكل قرية عن : موقف الاسـلام من تنظيم النسل ؟ رغم أن هنـاك أحاديث مشجعة على النسل • والواقع : أنه لم يظلم حديث شريف •• ويساء فهمه •• كما أسىء فهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« تناكحوا تناسلوا •• تكاثروا •• فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » •

وسبب الفهم الخاطىء لهـذا الحديث •• أن أصابع الاتهـام كانت تشير للدين كواحد من العقبات التى تقف دون نجاح تحديد النسل فى مصر •• وبسبب الارشاد الدينى (المنقوص) •• أصـبح هذا الحديث سيفا •• يقذف به فى وجه البعض : أى دعوة لتحديد النسل ، أو تنظيمه •• على أساس أن هذا الحديث يدعو ، لاطلاق النسل ، وتشجيعه (دون حدود أو قيود) •• وبغض النظر عن ظروف الأمم واستشهادا بالآية الكريمة التى تقول :

(وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) ••

أستطيع أن أؤكد ـ فعلا ـ أن : الفهم الخاطىء لهذا الحديث •• كان من الأسباب الرئيسية ـ فعلا ـ لافشـال كل محاولات تنظيم النسل فى مصر •

صحيح أن هناك عوامل أخرى مثل :

ـــ العامل الاقتصادى عند الفلاح •• حيث يمثل : الولد •• موردا اقتصاديا هامة فى الريف •

ـــ الى جانب عوامل اجتماعية مثل : تفشى الأمية •

ــ ورسوخ أفكار خاصة عن أهمية كثرة الأولاد فى ربط
الزوج الى منزل الزوجية ، ولكن يظل العامل الدينى··
هو العامل الحاسم فنحن شعب متدين منذ فجر التاريخ··
وكلمة الحلال والحرام ما زالت هى العامل المؤثر فى
الفعل وعدم الفعل وخاصة فى الريف ··

ولذلك كان للارشاد الدينى المنقوص ·· ـ كمشجع للاكثار
من النسل انطلاقا من هذا الحديث ـ أكبر الأثر فى فشل خطتنا ··
حيث وضع الناس (ودن من طين وودن من عجين) ·· عن كلام
يخالف نداء : « تناكحوا ··· تناسلوا ··· تكاثروا » ·

وكان يمكن أن يتغير كل مسار حياتنا لو فهم الناس : أن
مدلول الحديث يعنى : (العكس تماما) ·· وهو : (أن التكاثر
البشرى) فى الاسلام ·· مشروط ومرتبط تماما بموارد الأمم ··
وموارد بقواعد حاسمة وصعبة جدا ·· كيف ؟

وتعالوا ـ نقرأ الحديث مرة أخرى ·· وقبل قراءته نتوقف
لحظة لنقول : ان من القواعد المعروفة فى علوم الفقه والحديث ،
والقرآن ·· أنه لا يمكن أن تقف أمام (آية أو حديث) ونقول هذا
هو الاسلام ·· فلابد أن (تجمع) كل ما قيل فى موقف معين ··
لتحديد رأى الاسلام فيه ··

أما تفسير الاسلام بطريقة (**لا تقربوا الصلاة**) دون اكمال
الآية ·· فهذا هو التفسير المغلوط ·· المسبوق بنيات تبعد ـ تماما ـ
عن الصدق والحقيقة ··

ومأساة فهم هذا الحديث : جاءت عندما ضغط الدعاة على
جملة : « تناكحوا ·· تناسلوا ·· تكاثروا » ولم يتأملوا البقية
التى تقول : « فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ألم يتساءل
أحدهم ؟ :

(عن الارتباط الشرطى) بين الكثرة التى ينادى بها الرسول – فى بداية الحـديث – والمباهاة التى ذكرها الرســول فى نهاية الحـديث ··

فهل يمكن أن يبـاهى الرســول الأمم – يوم القيامة – بأمة اسلامية : متخلفة من أندونيسيا شرقا الى أمريكا اللاتينية غربا ··؟

وهل يمكن أن يباهى الرسول : الأمم ·· بأمة : لا يتناسب (عددها) مع (مواردها) ·· وهو الذى دعا (للتخطيط) لحياتنا الدنيا والآخرة معا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ؟

وهل يمكن أن يباهى الرسول : الأمم ·· بأمة : تعتمد فى قوتها على غيرها ·· وتستجدى أكثر من نصف احتياجاتها الغذائية من الخارج وهو الذى قال : « اليد العليا خير من السفلى » ؟

وهل يمكن أن يباهى الرسول : الأمم ··· بأمة : ضعيفة تعتمد فى الدفاع عن أرضها وسمائها وبحارها بأسلحة أعدائها وهو الذى يدعو الى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ؟ ··

والذى قال :

« المؤمن القوى خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » ··

وهل يمكن أن يباهى يباهى الرسول : الأمم ·· بأمة جاهلة تخلفت عن ركب العلم ، والاختراع بسبب أن بعض فقهاء السلاطين أرادوا عزل الدين عن الدنيا··ودفع المسلمين الى التبتل والاستغراق فى عبادة سطحية فى المساجد ·· رغم أنه قال :

« مجلس علم خير عند الله من عبادة ألف عام » ··

وتتسع هذه المساحة لمئات الآيات والأحاديث ·· التى تؤكد : أن التناسل والتكاثر ·· الذى أمر به الرسول فى هذا الحديث (مشروطة) ·· بأن نكون أمة منتجة متقدمة ··· متعلمة ·· متفوقة فى كل المجالات حتى يستطيع أن يباهى بها الرسول يوم القيامة ··

فبعض الأحاديث يا سادة ·· لا تفسر عند المنصفين ·· (بسطحية لغوية) ·· وبعض الأحاديث ـ يا سادة ـ لا تفهم الا من خلال مجموعة من الأحاديث الأخرى ·· (قاعدة فقهية) ··

فالكثرة التى ينادى بها الرسول ·· (مشروطة) بالكثرة التى لا تتجاوز موارد أوطانها ·· والدعوة الى الزواج والتناسل هى دعوة بديهية لاستمرار الحياة ·· ولكنها ـ وعكس ما نفهم تماما فى مصر والعالم العربى ـ دعوة مشروطة ـ فى الاسلام بالذات ـ بالقدرة والتقدم والتحضر ·· وهذا لن يكون الا بأن تكون عملية التناسل ·· محكومة ومتوائمة ·· مع احتياج دولة من الدول لهذه الكثرة ·· وهذا التناسل ··

فالكثرة المطلوبة فى الكويت مثلا ·· غير الكثرة المطلوبة فى مصر ··

والكثرة المطلوبة فى (أبو ظبى) ·· غير الكثرة المطلوبة فى باكستان ·· وهكذا كثرة مشروطة ـ اذن ـ بخطة الدولة ·· وبحجم مواردها ·· وبمدى قدرتها على تعاليم أبنائها ·· واستيعابهم فى مزارعها ، ومصانعها ·· كثرة مشروطة بأن تكون دول اسلامية متقدمة ·· أو أمة اسلامية متحضرة ، ومتفوقة فى جميع مجالاتها السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ·· حتى تبيح للرسول أن : يباهى بنا الأمم يوم القيامة ·

اذن فهى ليست كثرة (لذاتها) والا أصبحت كثرة ملعونة ·· وعبئا على أصحابها ··

ولكن يبدو أن الرسول العظيم ‥ (تنبأ) : بأن هناك من سيفهم هذا الحديث (بالمقلوب) ‥ فحذرنا بشكل (مباشر) من هذه (الكثرة البلهاء) فقال عليه الصلاة والسلام ـ وكأنه يرى حالنا اليوم :

« توشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الآكلة (الصقور) على قصعتها (فريستها) قيل : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله فقال : لا بل أنتم يومئذ (كثير) ‥ ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ‥

ولا حول ولا قوة الا بالله ‥ وغفر الله (لبعض) شيوخنا و (لبعض) فقهائنا ‥

والآن أيها السادة ‥ هل نصحو من غفوتنا ؟ ونعيد النظر فى هذا الفهم المغلوط للحديث ‥ ؟ ونكره هذه الكثرة العشوائية كما كرهها الرسول ؟ ونستبدلها بكثرة منظمة تتواءم مع احتياجاتنا ومواردنا ‥ كثرة تخلق : أمة متقدمة متحضرة حيث نجد طعاما (مصريا) لكل فم ‥ ومدرسة (راقية) لكل طفل ‥ وعملا محترما لكل شاب ‥ ومسكنا لائقا لكل أسرة ‥

هل نبدأ من الغد ‥ أكاد أقول ‥ أن غدا ـ أيضا ـ قد يكون متأخرا جدا ‥ فتعداد مصر يزيد ٢٠ طفلا كل دقيقة ‥ ؟

لنبدأ من الليلة و ‥ ليس من الغد فربما استطعنا صد هجمة طوفان مجهول ‥

السلفيون المعاصرون

وهنـــاك ٠٠ اصطلاح : يتردد بين فصائل التيـــار الاسلامى اصطلاح السلفيين ٠ وأقول : ـ عجيب ـ حقا ـ أمر هؤلاء السلفيين المعاصرين ٠٠ الذين يريدون : أن تصبح حياتنا صورة طبق الأصل من حياة السلف الصالح ٠ والطالح معا ٠

وأقول الطالح لأن التاريخ الاسلامى ٠٠ لم يكن كله تاريخا للاسلام ٠٠ ولكنه تاريخ مسلمين ٠٠ والتاريخ الاسلامى لم يكن كله تاريخ الخلفاء الراشدين ٠٠ أمثال أبى بكر ، وعمر ، وعثمان، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم ٠٠ ولكنه أيضا كان تاريخ غير الراشدين ٠٠ أمثال معاوية بن أبى سفيان ، ويزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وأبو جعفر المنصور ، وسفاح العصر العباسى ، وهارون الرشيد ، والمأمون والمعز لدين الله الفاطمى ٠٠ والحاكم بأمر الله ٠٠ وسلاطين العصر العثمانى ٠

وهؤلاء : حولوا الخلافة الاســـــلامية الراشدة الى خلافة غير راشدة لا تقوم على اختيار الحاكم بالبيعة أى : بالانتخاب ، أو على الحــكم الديمقراطى ، وتشـــاورهم فى الأمر بل حولوها الى حكم ديكتاتورى وراثى عضوض ٠٠ أجهض فى الدولة الاســـــلامية أهم أركانها السياسية المتعلقة بضرورة قيام أمة ديمقراطية ٠٠ يكون الأسلوب الديمقراطى هو السائد فى جميع أجهزة الدولة :

(وأمرهم شورى بينهم) ٠٠

وفى عصر هـــؤلاء الســـلاطين ٠٠ فرضـــت ديكتاتوريتهم على المسلمين : أن يحصروا تدينهم : فى المســـاجد والتكايا والزوايا

الصوفية ·· ليتحولوا الى مجموعة من الدراويش فاقدة الارادة ·· مغيبة العقل ·· ترجو النجاة فى الحياة الأخرى ·· تترك ما لله لله وما لقيصر لقيصر ·· مع أن الرسول عليه الصلاة والسلام جعل اهتمام المسلمين بأمورهم العامة وبسياسة الدولة أصلا من تدين المسلم ··

وكان عليه السلام يشير الى المفهوم السياسى لكلمة (أمر) ·· كما جاءت فى القرآن الكريم ·· فقال عليه الصلاة والسلام :

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ··

وعلى هذا النمط سارت الأمة الاسلامية فى عهود : أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم ·· ولكن سلاطين عصور الخلافة السوداء أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين عزلوا المسلمين عن اسلامهم الشامل ·· وحصروا هذا المفهوم فى العبادات المتعلقة بالصلاة والصوم والحجج والزكاة ·· تخلوا عن مسئولية جمعها من الأغنياء « كحق » يجب أن يقوموا برده وتسليمه الى الفقراء ··

ولم يكتفوا بهذا ·· بل انهم أهدروا المفهوم الاقتصادى الذى يجعل الخليفة حارسا على أموال المسلمين ·· محققا لعدالة توزيع الثروة لصالح المستضعفين ·· فجعلوا الخليفة (مالك) لثروات المسلمين يتصرف فيها بما يشاء ·· فيعطى من يشاء ويمنع من يشاء ·

وتحول بيت (مال المسلمين) الى بيت (مال حاكم المسلمين) !!

بل قام هؤلاء الخلفاء ·· باهدار كل مفهوم أخلاقى فى معاملاتهم فسجل عليهم التاريخ أبشع صور الفساد ، والانحلال فى حياتهم الخاصة ثم تسللت هذه الصور من قصورهم — لأنهم القدوة

الى الشارع فعم الفساد وانتشرت هذه الصور الخارجة عن أبسط أخلاقيات الاسلام بين الناس ··

بالطبع كان هناك من يقاوم ·· من أمثال ·· الفقيه الورع الحسن البصرى والأئمة الكبار أمثال : مالك ، وابن حنبل ، والشافعى ·· ولكن كلنا يعلم ما حدث لهم ·· من اضطهاد وتنكيل ··

ونحن عندما نقول : ان تاريخ الخلافة الاسلامية ·· يجب أن يعاد النظر فيه ·· فنحن نريد : أن ننقذ تاريخ الاسلام ·· مما فعله (بعض) خلفاء المسلمين ·· وأن ننقى هذا التاريخ ·· من : الحماقات ، والجرائم التى ارتكبها هؤلاء السلاطين فى حق الاسلام باسم الاسلام ··

وعندما نقول : ان حياتنا المعاصرة فى ظل القوانين الاسلامية ·· لا يجب أن تصبح نسخة طبق الأصل من حياة السلف الصالح ·· فانما نقول : ذلك ، لأننا على يقين أن حياة أبى بكر واجتهاداته، لم تكن صور كربونية لحياة واجتهادات الرسول ·

وكذلك لم تكن اجتهادات عمر رضى الله عنه مكررة لاجتهادات أبى بكر رضى الله عنه ··

كل حاكم مسلم مستنير اجتهد بما يوافق عصره وظروفه ·· رغم تقارب عهودهم فما بالك ، ونحن ويفصلنا عن بعض هؤلاء السلف قرون طويلة !؟

بل اننا نؤكد : أن الرسول عليه الصلاة والسلام ·· وهو امام السلفيين لو كان يحكم عصرنا لاختلفت اجتهاداته عن اجتهادات عصره منذ أربعة عشر قرنا ·· وكان النبى صلى الله عليه وسلم دائما يقول : لأصحابه :

« انما أنا بشر وما كان منى دين ـ أى : متعلق بالوحى والبلاغ ـ فخذوه .. وما كان منى رأى فانا أخطىء ، وأصيب .. » .

لهذا قال الرسول عليه السلام :

« ما يراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن » ..

وكان يقول لأصحابه أيضا :

« أنتم أدرى بشئون دنياكم » ..

لقد ترك لنا الرسول .. والخلفاء الراشدون .. اسـلاما متوهجا .. وشريعة تتطور مع الظروف والمكان .. فلماذا نخشى الاجتهاد .. ونلغى العقل .. ونشرع بما يوافق ظروفنا وعصرنا ما دام هذا لا يصطدم .. مع العقيدة .. ومقاصد الشريعة العليا .. لماذا أيها المسلمين الجدد ؟ ..



فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٤٢٨٦

ISBN — 977 — 01 — 3364 — 7

المواجهة

بلغت مؤامرات التطرف والارهاب فى مصر معدلات غير مسبوقة خلال السنة الأخيرة . ولم تعد هذه الظاهرة مجرد تهديد للدولة والنظام الحاكم ، بل أصبحت تهدد المجتمع المصرى كله ، سواء فى بنيته الداخلية أو فى اقتصاده أو أمنه الاجتماعى والسياسى ومكتسباته الثقافية والفكرية ، وكذلك انجازاته الاقتصادية والمادية . ولا تقل الحرب التى يشنها المتطرفون والارهابيون ضراوة عن أى حرب خاضتها مصر مع أعدائها الخارجيين فى هذا القرن . بل ربما كانت هذه الحرب أشد ضراوة ، لأن أحد أطرافها هم أبناء لنا ، أعماهم التطرف : فأختاروا العنف سبيلا لفرض إرادتهم وزعزعة استقرار الوطن : واستهدف عنفهم أبناء لنا فى أجهزة الأمن ، أو أخوة لنا من المدنيين المسالمين العزل ، مسلمين وأقباطا.

ان ما تمر به مصر الآن هو مأساة إنسانية وثقافية وحضارية ، وكارثة إقتصادية وسياسية ولذلك أصبح من الضرورى أن ينتفض المثقفون المصريون ، ومؤسسات مجتمعهم المدنى ، للوقوف فى وجه التطرف والارهاب لمحاصرتهما واحتوائهما ، تمهيدا لاقتلاعهما تماما .

من أجل هذا تصدر الهيئة المصرية العامة للكتاب بيت المثقفين المصريين هذه السلسلة للوقوف أمام هذه الظاهرة بالفكر المستنير و الحق الشريفة .

الغلاف للفنان : محمود الهندى

بسعر رمزى
خمسة وعشرون قرشاً